مَطرٌ يابسٌ

مسرحيات

عنوان الكتاب: مَطرٌ يابسٌ
المؤلف: جاسم المنصــوري
التصنيف: مسرحيات
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ٢٠٢٥
مدير الدار: رياض داخل
التنسيق الداخلي و تصميم الغلاف: فلاح العيساوي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٧٢١) لسنة ٢٠٢٥م

ISBN :978-9922-8334-6-0

دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع
العراق ـ بغداد ـ شارع المتنبي
هاتف: ٠٧٧٣٥٩٢٩٤٨٤ / ٠٧٨٧١٩٧٨٥٢٠
بريد إلكتروني: alrtyu44@gmail.com
رياض داخل: Facebook

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.
جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

جاسم المنصــوري

مَطرٌ يابسٌ

مسرحيات

٢٠٢٥

مـــا لَـــمْ يســـتطع المســـرح أن يُعظّمـــكَ، ويجعلـــكً شخصـــاً أفضـــل، فعليـــكَ الهـــروب مِنه.

(قسطنطين ستانيسلافسكي،
مخرج وممثل مسرحي روسي)

مسرحية
قُرْبان

شخوص المسرحية :

- **قابيل.**
- **هابيل.**
- **رجل طاعن في السن.**
- **صوت.**

المشهد الأول

بيئة العرض ((المكان فارغ الاّ من صخرة تتوسط المكان، قِطع لأشجار مكسّرة تتناثر هنا وهناك، الصخرة مصبوغة بلون أحمر، ألوان مختلفة تتقاطع فيما بينها، صوت للريح، يتقطع مثل الإنارة، المنظر يوحي بصحراء قاحلة، الريح وهي تهب يتداخل معها صوت رعد خفيف، يصمت كل شيء، الاّ صوت يأتي هادراً، فخماً، يتلو هذا الآية:

الصوت: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) صدق الله العلي العظيم... تتلاشى الإضاءة تماماً الاّ من بقعة ضوء تسقط على رجل بلباس ابيض من رأسه حتى قدميه، ولحية بيضاء طويلة، رجل طاعن في السن، كل شيء يبدو أبيض فيه، يمسك بيده عصاً، يضرب بها الأرض وكأنه يتوكأ عليها، يخطو إلى وسط المسرح، يبدو قوياً))

الرجل: الأخطاءُ كثيرةٌ، والعقاب أكثرْ، إياك أن تصدق أن هذا الكون بلا خطيئة، ما هذه الدنيا الاّ دروس وعِبَرْ، عُمْرُك يا هذا ما هو الاّ أوراق تتساقط، بعضُ الأوراقِ تسقط دون أن تشعرَ بها، لكنها أخذت معها جزء لا يتجزأ من عُمرك، ستشعر حينها إن العمر لا بِعدِّ بالسنين وإنما بالعمل الصالح، (يرفع صوته) الأخطاءُ كثيرةٌ، والعقاب أكثرْ، لا تتوقع من الليل غير الليل، الظلام لباسهُ، والشمس شعلة الواضحين، الصادقين، لا تتوقع من الحقيقة الاّ الحقيقة، حتى وإن أدّمَت القلوب، فالمشاعر النبيلة مكانُها دائماً على الكرسي الذي نتوقعهُ، الأخطاءُ كثيرةٌ، والعقاب أكثرْ، منذ البدء كان أبونا أدم، عَبقُ الله، ملح الأرض، وجع الأشجار، أنين التيه، وغربة النجوم، أبونا أدم ذاق التفاحة الأولى، وضلّ ذنبه إلى الأن يجرهُ كالصليب مع المسيح[1] وفي الموسمِ الاتي سيأكل أدم تفاحتين وذنبه لن يغفرا، الأخطاءُ كثيرةٌ، والعقاب أكثرْ، ستكتشف يا ابن أدم، (يشير للحضور) لكنْ إكتشافُك

(١) الشاعر السوداني محمد عبد الباري.

سَيكونُ متأخراً إن كلّ ما في هذا الكون بريءٌ الاّ أنتْ، أنت فقط أنت، الوجع الأول أنت، الحزن الأول أنت، الجرحُ الأول أنت، الخطيئة الأولى أنت، القاتلُ والمقتولُ أنت، في ذمة الله أنت، إما نحن أبناؤك، ففي ذمة الحُزن، سَيطولُ الحديث عنك يا أبي الأول، كنتَ تقاوم إغّراء الدهشة، تبحث مع روحك عن تجربةٍ جديدةٍ في جنة الله، لتكْسر روتين الحب العُذري، مكتفيتَ بكلّ الأشجار هناك فذهبت تفتشُ عن تفاحةٍ تأكلها لتنام بهدوء، حُبُ الاستطلاع كان يُغريكَ، هكذا أنت منذ البداية وحتى الآن، لا يُعجبكَ البقاء في مكانٍ واحد، تفتش في كل الأماكن حتى أغراك من أغراك، فكان ثمنُ التفاحةِ جرحٌ غائر، وأمنيات مكبوتة، أحلام ضائعة، ثمن التفاحة ما زال إلى الآن يذكرنا بالخسارة، ندفعُ ثمنهُ إلى الآن، وبعد هذا كله، مَنْ منا كان المقتول والقتيل؟ مَنْ قَتَلَ مَنْ؟ ولماذا إلى اليوم نتشظى كالحجارةِ فوق سطح الكون؟

الصوت: قابيل أساس القهر.

الرجل: الغرابُ قاتلٌ قَبّلهُ.

الصوت: قابيل الحزن والخطيئة والندم.
الرجل: الغربان تعرف الموت قبل آدم.
الصوت: ستضّلُ تبكي طوال الدهر.
الرجل: كن منصفاً الغربان أول من لبس السواد.
الصوت: وهي إلى الآن تلبسهُ.
الرجل: قابيل لم دفن أخاه.
الصوت: الغربان تعرف الدفن بلا توابيت، بلا تشييع.
الرجل: إذن هي وحدها مَنْ تتحمل وزر الموت.
الصوت: لا ترمي الطيور بالحجر، هي من علمت أبونا الدفن.
الرجل: فقط الدَفنْ.
الصوت: بأجنحتها فقط كان اللّحد عميقاً.
الرجل: هابيل والغراب ناما بنفس اللّحدِ، توسدا التراب، الغربان وحدها قرأت ما تيسر من كتاب السماء.
الصوت: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

الرجل: الأخطاءُ كثيرةٌ، والعقاب أكثر (يرددها أكثر من مرة، تراجع نحو الصخرة، وهو يغادر المكان).

إظلام

المشهد الثاني

(الصخرة تتوسط المسرح، في زاوية يقف هابيل على منصة ثابتة مضرج بالدماء أمامه سندان من الورد، يدخل قابيل يجر خلفه تابوت خشبي مصنوع بطريقة بدائية، أخشابه تكاد تتكسر، حبل مربوط على رقبته ومربوط بالتابوت، يجر التابوت بحزن وتعب ومرارة، يداه تبدوان ملطختين بالدماء، الإضاءة تتوزع بالتساوي على المسرح، اللون الحمر يبدو طاغياً على المشهد، الرجل الطاعن في السن يدخل إلى وسط المسرح يواجه الحضور).

الرجل: ذات يوم ودّعَتْ الشمس آخر خيوطها في سماء الأمان البريئة، وما تبق منها الا شفق أحمر يلوّن كبد الحقيقة المترامية التلال، كان قابيل وأخيه يرومان العودة حتى توقفا قرب الصخرة الكئيبة، الصخرة الخراب. الصخرة هي الشاهد الوحيد على الموت الأول في التأريخ، الصخرةُ وحدها تعرفُ حقد القاتل ووجع المقتول، الصخرة

والغـــراب لا يتشـــابهان الاّ بالشـــهادة والرؤيـــة والجريمة.

(قابيـل يتوقـف يمسـح بوجهـه الـدم الـذي فـوق يديه، يتلوّن وجهه)

قابيل: أنا قابيل دوّارة الحزن بلا منازع، ثرثارةٌ هي أيام الصغيرة الثقيلة، أنا الأول في الفجيعة، والآخر فـي التوبـة، لا أزال إلـى اليـوم أجـرُّ مـوت أخـي معـي، مَـنْ يغفـر لـي قطـع العنـق، ونـزف الـدم، وطلب النجاة؟ أنا أول من أخفى ضل أخيه عن الحياة، غبار التراب إلى اليوم يترس أنفي، يتطاير مثـل الـذباب علـى وجهـي، إلـى اليـوم أجـر فـي عنقـي ويـل الفاجعـة وقهـر أمـي ونشـيج أبـي مكتـوب فـوق الجـدران الخاويـة أن أكـون الأول في مشهد الموت الذي لم يتأجل حتى الصباح.

الرجل: كُلّ شيء تَمَ بلا ضجيج، وبهدوء تام.

الصـوت: يقـول لـه أخـوه الرجـل الصـالح، الـذي تقبـل الله قربانـه: بِسْـمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِط يَدِيَ إِلَيكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

قابيل (بجزع): القُربانُ هو الفيّصل، القُربانُ هو مَنْ حدد القاتل والمقتول، القُربانُ إلى الآنِ مَنْ يحددُّ الخير والشر.

الرجل: كُلّ شيء تَم بلا ضجيج، وبهدوء تام، حتى السماء تلبدت بالسواد قبل الليل، وكأن الليل على موعدٍ مع وجع القاتل ولهفة المقتول، كُلّ شيء جاء كما مخطط له، القاتل وأخيه، القاتل وبما يَحمِلهُ من أنانية وكراهية وحقد، وأخيه، البراءة والدهشة والمصير.

قابيل: أنا قابيل، الشاهد والقاتل والفجيعة، أنا قابيل، المرارة والجشع وكل صفات الذل.

الرجل: كُلّ شيء تَمَ بلا ضجيج، وبهدوء تام حين انتفض الحقد في نفس قابيل، فسولت له قتل أخيه.

(قابيل يوقف التابوت وينظر إليه، يدور حوله وكأنه يتفحصهُ)

الرجل: قبل هذا كانا يحملان قربان القبول، هابيل حَمَلَ المحبة والتسامح والأخوة، وقابيل حمل البؤس والحقد والكراهية، نفسه المريضة كانت تؤجج في داخله شكل القربان.

(الظلام يلف المكان الاّ من ضوء فوق قابيل وهابيل)

قابيل (يخاطب التابوت): كُلّ منا حمل قُربانهُ، فلماذا أنت الأفضل؟

هابيل (من مكان وقوفه): لأنك حسود، والحاسدون بلا مشاعر.

قابيل: ما أتعسك حينما تتظاهر بأنك الأفضل.

هابيل: إنك مأساة الدنيا.

قابيل: من أين تستمد محبة الأخرين؟

هابيل: أنظر للقربان، أنظر لما تحملُ أنت.

(قابيل ينظر للتابوت بتعجب وكأنه يراه لأول مرة، يحاول أن يفكّ الحبل لكن الحبل يدار على عنقه أكثر)

قابيل: إنك تستحق الشفقة.

هابيل: وأنت لا تستحق الحياة.

(قابيل يفكّ الحبل بصعوبة من عنقه ويترك التابوت أرضاً يركض نحو الصخرة، يأخذ منها صخرة ملء يده، يركض بها نحو التابوت، يدور حوله، ينظر للصخرة التي بين يديه، يقف أمام

هابيل، يضع هابيل يداه فوق كتفي قابيل، ينزل من المنصة خلفه وكأن قابيل يَجرّهُ)

قابيل: هذه الصخرة وأنت والفجيعة والقربان.

هابيل: إن الله وزّعَ المحبة فكان نصيبك الشقاء.

قابيل: ما تزال رائحة الخسارة تملء المكان.

هابيل: توضأ بالمحبة قبل الماء فأن الصلاة بقلب حاقدٍ لا تجوز[1].

قابيل: إِنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي.

هابيل: لا تذهبُ الأخْطاءَ بلا ثمنٍ، وأنت قتلت أخاك.

(صوت يدوي في المكان: قتلتَ أخاك، يكرر الصوت)

قابيل (يركض مفزوعاً): ما عرفتُ معنى الأخوة الاّ بعد (يصمت) (ينظر إلى يديه والصخرة التي فيها).

هابيل: وأنا عرفتُ الأخوة منذ الولادة، إن الله مَحبة، كلما جعلت الله كبيراً في أعماقك كلما تصّغرُ كُلّ الأشياء الأخرى، القلوب التي تعشق الله هي خاشعة حتماً، الحب في الله يبدأ من الأعماق.

قابيل: هذه الحكمة أكبر مني.

هابيل: اللهم هذا أخي وأنا القتيل.

---

(١) الشاعر والفيلسوف جلال الدين الرومي.

(ينحسّر الضوء ويختفي الا بقعة منه فوق قابيل وهو يعود إلى التابوت ويضع الحبل في رقبته من جديد)

قابيل: إلهي أنا القاتلُ منذ الزمن الأول، والقربان كان الفاصل بين الخير وبين الشر.

إظلام

(ســـــتارة)

مسرحية

مَطرٌ يابِس

(مونودراما)

شخوص المسرحية :

- **فتاة... بأدوار متعددة.**
- **صوت.**

المشهد الأول

استهلال (ظلام يغزو المكان، يتوزع عليه بالتساوي، لا شيء هنا سوى الظلام، وكأن كل شيء ها هنا بلون أسود، صوت طفل يبكي، وكأنه يُعلن عن ولادة صعبة ومخيفة، الموسيقى كأنها اللون الأسود، داكنة حتى بنغماتها، بحسّها الخائف، تتداخل مع صوت الرعد الغاضب من السماء، يُمزّق هذا الظلام، ضوء البرق، فينكشف الظلام قليلاً، قليلاً، فتظهر بقعة ضوء تشير إلى غرفة ذات أثاث بسيط متواضع، المطر ما زال يهطل، والبرق يرسل ضوئه كذلك، يتوسط الغرفة مهد طفل يتحرك إلى اليمين واليسار، يتقطع صوته بين البكاء والصمت، فِراشٌ ممدود وقطع قماش متوزعة حول مهد الطفل، البكاء والرعد والبرق وبعض الظلام يتقاسمون الصمت، فيكّسر هذا كُلهُ صوت).

الصوت: (عَدْ وأنه أعدْ وأنشوف يا هو الأكثر هموم من عمري سبع اسنين وگليبي مهموم... راحوا ويلي... راحوا بعد ما ردّوا أحبابي.. عندي

وتخاف عليك ودّورك أمك موش بسواد العين بگليبي أضمّك..[1])

ها أنا عبرت من كلّ الأزمنة الخرسة، أنتظرك أيها الصوت الذي سيكون بعدي عبقاً ووروداً وصدى، ابكي الآن بحرقة، لأن غداً سيكون البكاء بثمن، وربما بلا ثمن، لا تحبسي القهر والآه والصمت داخل أنفاسك، ستكبرين أيتها الصغيرة الجميلة الغافية على حدّ الوجع. (يضحك، ويضحك) أهلاً بك في الحياة، ها أنت الآن معنا، ستشربين من سماء الصبر، وتتجرعين المآسي، وربما ستضحكين، وتقرئين للشمس قصائد المطر، والفرح، وتكبرين وتكتشفين إن حياتنا بريئة وعفوية وطيبة، والدنيا من حولك رائعة الاّ نحنُ. (بصوت أعلى) الاّ نَحنُ، نحنُ مَنْ يُشعل الحرائق في الصدور والجدران والهواء، ستكتشفين متأخراً إن الحُبَ لا يموت لأنه العُشب الذي ينبُت على قبور العشاق. (صمت، صوت البكاء يخفت قليلاً، والرعد والبرق يتواصل، المطر ما زال يهطل

(١) أغنية من التراث العراقي.

بغزارة، الضوء يكبر فوق المهد، ويتوزع داخل الغرفة، يتجهُ للأعلى، يظهر جدار الحائط متهالك، صورة لرجل وامرأة بثياب زفاف) مرحباً بك أيتها الصغيرة، الصغيرة الآن والتي ستكبر غداً، ستشرك من ماء الصبر والعافية والحب غداً، لا تستعجلي السنوات، دعيها تمرّ على مهلها، ستلتقين بالليل كثيراً، وبالشمس أكثر، بعض الأشياء دعيها تغادرك، ولتذهب إلى غير رجعة، وبعض الأشياء ستنتهي لوحدها، يا صغيرتي ستتعرفين على الحُبِ، وستذوقين طعمهُ المُرْ، وسترين إنه يبدأ من أعماق القلب والعين وينتهي إليهما، ودعين أكون صريحاً أكثر، لن يكون عُمرُكِ كلهُ سنين وحشة وغربة وقهر، بالتأكيد ستتغير المواقف، وتتغير الوجوه والمشاهد، الخريف يا صغيرتي كفيل بتساقط الأوراق الصفراء، لذا تعلمي منهُ أن تدعي كل همومك تتساقط، تعلمي من الشجر والمطر إن الذي يربطهما ليس الماء فقط، بلْ هو الشوق والانتظار. (صمت وهدوء، وموسيقى خافتة، وهنا تنطلق تهويدة حزينة: دللول يالولد يا بني

دللول.. يمّه عدوك عليل وساكن الجول.. يمّه هب الهوى وإصطكت الباب.. ترى حسبالي يا يمّه خشت أحباب[1]) (صوت المطر يخفت، وصوت الرعد وضوء البرق يتناقص، اما الضوء في الوسط فإنهُ يكبر، وتنزل ستارة بيضاء من الأعلى، لتكون حاجزاً بين المهد وبين واجهة المسرح، ظلال أسود خلف الستارة، يظهر تقدم العمر بالطفلة، فيتحرك هذا الظلال بدءاً من مشيتها الأولى، حيث تمشي وتسقط، ومن ثُمّ تنهض من جديد، تظهر وكأنها في المدرسة، صوت ضحكة بريئة، تتداخل مع أصوات فتيات في ساحة اللعب)

الصوت بهدوء مع عزف لآلة العود: نحن الطيبون نستطيع أن نتخلى عن أفراحنا وسعادتنا لمن نُحب، لنستمتع بفرح الآخرين حينما نراه مرسوماً على وجوههم، هكذا هم الطيبون، الحُزن الغائر كخنجر وسط الضلوع، نتحمّلهُ لأجل من نُحب، نحن جميعاً من هناك، من ذات الطين الأسمر، من وجع السنين وغربة المكان

(١) تهويدة عراقية تُعبّر عن فراق الأحبة.

(أنا من هُناكَ، ولي ذكرياتٌ، ولدتُ كما تولد الناسُ، لي والدة وبيتٌ كثير النوافذ لي أخوةٌ، أصدقاءُ، لي قمرٌ في أقاصي الكلام ورزقُ الطيُور، وزيتونة خالدة[1]) (يتوقف العزف) ها يا صغيرتي، عفواً كبرتي الآن، وطولك يتسابق مع أشجار الياس وعطرك كعطر ورد البرتقال. (ضحكة بريئة للفتاة) (الرعد والبرق والمطر يعودان من جديد، الستارة البيضاء ترفع والظلام يخيم على المكان، الاّ من بقعة ضوء تسلط على فتاة في العشرين من عمرها، تلفها ثياب سوداء، تدخل من أحد زوايا المسرح مبلولة وترتجف، الضوء يلاحقها، وكأنها تبحث عن مكان تحتمي فيه)

الفتاة: يا لهذا المطر الطافر من السماء، مالك يابس مثل الأمس، (تعضُّ على أسنانها) يابس كأنك البُخل بعينيه، وانا أتصور إن للبخل عين واحدة، أو ربما يستخدم عين واحدة فقط، يا أيها المطر اليابس، مالك لا تستحي، تركت الجميع، وبللت ملابسي بقطراتك اليابسة هذه (تحاول أن تعّصر

(١) من قصيدة أنا من هناك للشاعر الفلسطيني محمود درويش.

جزء من ملابسها ليتقاطر منها الماء) أووووف ماذا سأقول لأمي الآن، (بتعجب) مطر بلل ثيابي، أمي آه أمي، كم أنت رائعة ودائفة وجميلة، تمتلكين نهراً من الحنان والمحبة والطيبة. (تجلس قرب المهد، تحركهُ إلى اليمينِ واليسار) ها هنا كُنتُ، يقولون إنني كومة لحم حين ولدت (تضحك بعفوية) تخيلوا أنا كومة لحم، معقولة؟ (تمسك المهد تضمّهُ إليها) كانت أمي تخاف عليّ، لا أدري من أي شيء، لكنها تخاف، وحين كبرتْ، ازداد خوفها أكثر، وكانت تقول: كوني متسامحة، جميلٌ هو التسامح يا ابنتي، حتى وإن فقدوا ذاكرتهم من نُسامحهم. (بوجع ولوعة) أمي، أمي، سامحتهم كثيراً، وتهت في حُزني وحيدة، أفتش في الوجوه عمن يتذكر عطائي، ولهفتي ووجعي، لا أجد. (تنتصب واقفة، تلف المكان بهدوء، وكأنها تبحث عن شيء ما) كانت ها هنا، قصيدة يقرأها المساكين، أمي نافذة للعطاء، وزّعت محبتها خبز وزيتون وأعواد بخور، أكبر من همّي أنت، تعالي الأن، ضمّيني إليك الأن، الدنيا بلا أنت،

كساعة محفورة في الجدار مكتوب على دقاتها،
أنا الاّ وجهك... تعلمت إن الأمهات إذا رحلّنَ
ستبقى الجراح ساخنة بلا ضماد.

الصوت: الراحلون وراء الشمس لا يعودوا.

الفتاة: وهذا الحزن؟

الصوت: ارميه إلى المطر.

الفتاة: المطر يابس مثل الأمس.

الصوت: دعيه كتعويذة على صدر الفقراء.

الفتاة: الفقراء بلا هوية، بلا خبز، بلا...

الصوت: المطر أكبر منك.

الفتاة: الفقراء يمزّقهم المطر.

الصوت: الناس كتب ممهورة بختم اللهفة، تحمل في
طياتها الاف الحكايات والاف الأحاسيس
التائهة.

الفتاة: والفقراء منهم، وانا أميرة للفقراء.

الصوت: لا أمير للفقراء سوى الأنبياء، ومآذن الصلاة.

الفتاة: من أين يجيء الصبر؟

الصوت: من أعماق الخوف وطغيان السلطان.

الفتاة: خُذْ من هذا العطش المبلول بالمطر اليابس.

الصوت: ولمن أعطيه؟

الفتاة: للمحرومين.

الصوت: المحرومون بلا هويه بلا جواز عبور للضفة الأخرى.

الفتاة: دعهم، فقط دعهم، سيكبرون ويرسمون من دمهم أشجار الياس وسيطلقون في السماء حمامات الصُبح.

الصوت: لا صبح للمحرومين.

الفتاة: سيجيئ الصُبح.

الصوت: انتظرناه طويلاً.

الفتاة: الانتظار بداية الحضور.

الصوت: ترقبناه مثل القمر طويلاُ.

الفتاة: القمر يبدأ هلالاً.

الصوت: الانتظار مثل رائحة الدخان يحمل المرارة واللهفة والذل.

الفتاة: ننتظر حتى يملّ الانتظار منّا.

الصوت: بلا جدوى.

الفتاة: أحسن من لا شيء.

(يعود صوت الرعد والبرق والمطر والظلام الا بقعة ضوء تتوزع فوق المهد).

إظلام

المشهد الثاني

(ضوء يتوسط المسرح، يتوزع على مجموعة من مانيكانات[1] بوجوه نسائية متشابهة، عليها عباءات سوداء، متراصفة على شكل دائرة، الضوء يتغير إلى اللون الأزرق والأحمر، تغيب الألوان ويبقى اللون الأبيض فقط، صوت نسائي وكأنه يصدر من إحدى المانيكانات).

صوت نسائي: يا سيدة المطر اليابس، لا تندفعي نحو الحب الخاسر، ولا تستجيبي لجوعك المُرّ، فهذه الاستجابة قد تدفعك إلى أن تبحثي في مزبلة البعض لتسدي رمق جوعك الكافر. كوني بمستوى الشوق واللهفة، تعلمي يا صغيرتي إن الدروب التي تخلو من المطبات لا يمكن أن تأخذنا إلى ما نريد، هكذا نحن، عشاق الحياة، بداياتنا كبيرة وهي ترسم في الأفق نصف نهاياتنا.

(يتحرك الضوء مع صوت لموسيقى نحو احدى المانيكانات، فتتحرك، تغادر المجموعة وتتوسط

(١) المانيكان... دمية تستخدم لعرض الملابس.

المسرح، الضوء ينقسم إلى اثنين، واحد عليها والأخر على المانيكانات، فيما يبقى الفضاء بلون اسود مظلم).

الفتاة: قالوا قديماً إن الخطاطون والخياطون يأكلون من ضوء عيونهم، إما نحن فنأكل مما يتاح من أجسادنا، إنها أجسادنا، بضاعتنا التي بها نحيا، نحن ضحية الحروب والعوز والقهر (صوت موسيقي مدوي) والحروب أيها السادة تصّنع العاهرات وبائعات الجسد، أكثر مما تصنع الشجعان، عن أي حُب تتحدثون، ما زلنا إلى الآن نتاجر بعوزنا وخوفنا وأحلامنا على الرغم من إن أحلامنا لم يبقى منها سوى الوجع والطفولة. (تركض حول دائرة المانيكانات، لمرتين وتتوقف) الأن أنا لست مستعدة لأتخلى عما صنعته بي الحروب، هو شهريار، وانا إلى اليوم احكي له الحكاية الأخيرة، هو شهريار، وانا حبيسة حكاياه، ورجولته وفحولته ورهان حصانه، (تدخل إلى وسط المانيكانات وتخاطبهن) أنتِ، لطالما بكيتِ على أكتافي بحرقة كي تغادري الليل، وأنتِ (تشير إلى

الأخرى) هذه قصائد حبيبك معلقة على جدران الحائط العتيق، تحلمين أن يضمّك إليه، فضاعت أحلامك على صدر لا يعرف منك الاّ قضاء الليلة، وأنتِ، مدّ الفقر إليكِ أنيابهُ فضاعت الأمنيات وضل الفقر، وأنتِ، وأنتِ. (تطلُّ من بين المانيكانات برأسها وتقول بهدوء) آلامنا صغيرة لكنها تفضحنا، تتركنا نثرثر بلا معنى، لكن همومنا الكبيرة خرساء. (تزيح إحدى المانيكانات وتتوسط المسرح) نحاول دائماً ستر عيوبنا، بهذه الخرق البالية (تشير إلى ملابسها) لكن داخلنا مثل الزجاجات المهشمة، (تسأل) هل تتصورون إن إخفاء الغبار تحت السجادة دليلة كاف على نظافة المكان؟

من يتصور هذا فهو -اسمحوا الي- غبي حدْ النخاع، أننا نستر أجسادنا، لكن أرواحنا عارية تماماً.

(تأخذ احدى المانيكانات وتسحبها إلى الوسط، وتتحدث إليها)

حينما اغتالت احدى الحروب -أبي- وكنت لا أزال بلا نهدين طافرين، ماتت أمي، بقيت أنا

والحائط وبقايا ذكريات، أمي غادرتني بلا قبلة ولا خبزة ولا صوت، أمي العظيمة والحكيمة كانت تقول لي (في الخصام يعتذر الأكثر حُباً وليس الأكثر خطأً) وضاعت الحكيمة العظيمة في السماء، تصّورتها غيمة، فكنت أنام وعيوني مليئة من غيم السماء. (تحتضنُ المانيكان) كنت أحلم أن أحتضنها، أن أغني بين ذراعيها، ان أشكو لها عشقي ولهفتي، أن أتحدث لها مثل الفتيات عن أحلامهن، كنت انتظر منها عبر سنوات العُمر، أن تمشط شعري، وتظفر جديلتي، وتقلم أظافري، وأنام مثل العصفور على يدها. (تترك المانيكان، وتدور وسط المسرح، وكأنها تبحث عن شيء ما، الضوء الأبيض يلاحقها) هنا أضعتهُ، هنا... هنا كان قبل الصباح، أغّمضت عيني وكان أمامي، هنا، لالا ربما كان هنا، مُذْ مات أبي، مُذْ أكلت حروب القهر قميصهُ، وشربت من معطفه الشتوي - المليء برائحة التبغ والحنان- سنوات الصبر العجاف، وانا مشدودة بأعواد البقاء عنوة، سرقوا مني طفولتي، عُذّريتي، لون أصابعي. (تتوقف

وكأنها تذكرت شيء ما) أنا ما زلت عذراء، نعم، لا زلت، من قال إن الشرف يُقاس بسقوط الدم على فراش المتعة؟ من قال إن غشاء أهون من بطن السمكة، عنوان للعفةِ والنقاء؟

(تصرخ عالياً، وتجلس للأرض) أنا ما زلت عذراء، نعم رغم جنون الليل، وقهر القائمين على البغاء، أمي، أمي أنا ما زلت عذراء، أخذوا مني وهج شفتيّ، (تنهض وكأنها تخاطب أحدهم) (يا أنت، يا أحد السكارى يا من يريد من البغايا ما يريد من العذارى ما ظلَّ يحلم، منذ كان به ويزرع في الصحاري زبد الشواطئ والمحارا[1]) لكنّ مثل النخلة يا أمي، بقيتُ أمدُّ سعفي نحو الشمس ونحو الغد ونحو العائدين من خسارات الحروب السخيفة.

(تعود إلى ترتيب المانيكانات وتصفّهُنَّ على جانبين، وتقف وسطهن)

لن يسرقوا عذريتي بحفنة دراهم، أنا سأضل نبعاً تحلم بي شفاه العطشى، عذراء أنا وفي شفتي طعم الليلة البارحة، وعلى رقبتي نصل

(١) من قصيدة المومس العمياء للشاعر العراقي بدر شاكر السياب.

السكين العاهر، سلّمت للسماء خصلات من شعري، ودعوت العصافير كي تنام على جبيني، اتركوا فحولتكم خارج جسدي العفيف، (تقف خلف واحدة من المانيكانات وتهمس خلفها) بعينيّ هاتين، رأيت كؤوس الخمر ترقص مع السياسيين البغاة، يشربون نخب فجيعتهم، ولا يحركون ساكناً، (تقف خلف الأخرى) يحلفون بشرفهم وبشواربهم الغليظة، وهم بلا شوارب حتى، ولديهم من الشرف -ربّعهُ- (تقف خلف الأخرى) يتقاسمون فحولتهم بلعبة نرد، وضحكة عاهر، ورقصة أفعى. (تقف خلف الأخرى)

بين أن تشعرين بهم وبرجولتهم، تحتاجين إلى مسافة طويلة مثّلَ المسافة بين الولادة والموت، هؤلاء الرجال الذين اشترونا، نسو إن الفراشات الملونة لا تبيع ألوانها، والأنهار لا تُضحي بطينها، (تتوسط المسرح وتصرخ باكيةً) عفواً أيها السادة، هذا زمن التفاهة والفجيعة والقهر.

إظلام

المشهد الثالث

(بقعة ضوء تتوسط المشهد، بعض قطع قماش ملونة تتوزع على الأرض، الفتاة بملابسها السوداء واضعة على رأسها طرحة عرس بيضاء، وغشاء شفاف يغطي وجهها، وأمامها مانيكان رجالي بملابس سوداء وربطة عنق حمراء، يرقصان معاً على موسيقى مناسبة، يتوقفان)

الفتاة: هذه الليلة لي، نتقاسمها معاً، مثل الخبزة، ومثل العطش ومثل الخوف، أنت مملكتي التي أحب، الزمن المُرّ الذي ذوّب جدائلي وَلَّى، أنت مَنْ أهوى. يا أيتها الليلة التي أُحبها انتظرتكِ وملء عيوني حلم يكبر معي، زمن يسافر بين أصابعي وفوق وجهي، وبين أنفاسي التعب، هذه الليلة سأفصلها على مقاس أمنياتي، وأسافر بها نحو السعادة، قولوا عني ما تشاؤون، هو زوجي، (تدور خلفه، تضع يديها على كتفيه) مثّل كُل فتيات الأرض كانت أحلامي... يا زمني، هلّا تعود قليلاً، لطالما كانت دميتي وأنا صغيرة، امنحها دور العروس، وأبحث في أرجاء البيت

عن قطعة خشب أكبر من دميتي، ليكون عرّيس لها، أذوب في هذه اللعبة.

(تعود للرقص مع المانيكان وعلى أنغام أغنية - فيروز- صرلي شي مية سنه عم غني مواويل مش معروفه لمين)

(وتتوقف الأغنية فجأة وعلى صوت طبول غريبة، الظلام يغطي المكان، بقعة الضوء تظهر في زاوية أخرى على الفتاة وهي بالقرب من مانيكان رجالي بملابس عسكرية)

الصوت: الوطن أكبر من أحلامكِ.

الفتاة: والحُبْ؟

الصوت: وجع الفقراء وسعادتهم.

الفتاة: هذا هو كُلّ ما املك.

الصوت: كوني على قدر المسؤولية.

الفتاة: سنوات ونحن على قدر المسؤولية والعطاء والتضحية.

الصوت: حظّكِ أيتها المسكينة المِعّطاء.

الفتاة: دعهُ لي في أحشائي نبض منهُ.

الصوت: ولأمك نفس الموّال ونفس الأغنية.

الفتاة: صبّر الفقراء أغانيهم.

الصوت: اذاً عيشي الصبر، ذوقي من طعمه.

الفتاة: لا زال إلى الأن على شفتيّ.

(ترقص مع المانيكان، والضوء يلاحقهما)

الصوت (بنداء بعيد): إنها ليلتك الأخيرة، الأخيرة، الأخيرة.

(تتوقف عن الرقص، تتحرك لوحدها)

الفتاة (تشير إلى بطنها): أبقي ها هنا، لا تغادر الدفء والطمأنينة، هنا يا ولدي أنت بحفظ السماء والعافية، دع عنك هموم الدنيا، أنا وأبوك سنحملها نيابة عنك، اشرب من عافيتي ماءً، توضأ من خاصرتي لصلاة الأطفال العرايا، يا صغيري دع عنك الخوف، وأكّبر على مهلك، لا تستعجل الظهور، مهّدُك لم يجهز بعد، أعواد الخشب الصاجية ما زالت عند النجار، وأبوك غادرنا، كي لا يُقال: وطن بلا جنود ولا حُب ولا تضحية.

(تجمع قطع القماش، تصّنعُ منها حبلاً تجرهُ خلفها وتدور)

الفتاة: كُنْ قوياً يا ولدي، ارسم فوق الأرض ورداً وزيتون، دعْ النخل ينمو أمامك، يا ولدي أي

زمان سيضّمك؟ خُذّ من لهفتي وعنفوان ابيك ومضة، وأنر بها الظلام، لا تستعجل الخروج الأن، سوف تلحق بركب الراحلين إلى هوس الحروب، دعني أُشبعْ ناظري بأريجك الأخّاذ.

(تكوّر قطع القماش على شكل دمية صغيرة، تحتضنها، تضمّها إلى صدرها)

الفتاة: كان يا ما كان في ذاك الزمان وهذا الزمان، كان هنالك عصفور حرّ وعفوي، ونشيط، يرقص مع الريح، ويرسم بغنائه سنابل القمح، ذات يوم وهو يغني، من على تلك الشجرة المطلّة على النهر، سمعته سمكة، أجمل سمكة في النهر، توقفت أنفاسها وهي تستمع لذاك العزف الرائع، أطلت من فوق الموج، كوردة بيضاء تطلُّ من غصن أصفر، فقفزت السمكة عالياً، أرّمتْ بتحيتها للعصفور، توقف العصفور عن الغناء، وتاه في سماء العشق واللهفة، تبادلا النظرات، وتبادلا الرسائل، والأمنيات، وتاها معاً بسماء الحُب الممنوع، نعم ممنوع، تخيّل معي عصفور يعشق سمكة! وذات يوم قفزت السمكة عالياً ولم ترى العصفور، غادرها العصفور، حمل

جراحه وهمّهُ وغادر، السمكة وهي في غاية الحزن قالت للبحر: أنت لا تستطيع أن ترى دموعي أبداً ذلك لأني في الماء، أجابها البحرُ: لكن أستطيع أن أشعر بها.

(تخاطب الدمية)

يا ولدي، ممكن للعصفور أن يعشق السمكة، لكن المشكلة أين سيعيشان؟

(تضع الدمية فوق رأسها)

دعني أعبر بك حدود القهر والحروب العبثية، ونهاجر معاً، أنا وأنت وهذا الكون، مثّل السمكة والعصفور، لا يمكن أن يجمعنا الحُب، أنا وأنت من طينة واحدة، وهذا الكون ليس من الطين، أنت تشبهني وصورة أباك جزء منك، فتعال نعّبرُ حدود الأرض إلى بقعة تتشح بالبقاء، بعيداً عن الخوف وذلة العطش المُرْ.

(صوت لهيجان البحر، والمطر والرعد، وصوت سفينة في المرفأ)

الفتاة: لنهاجر يا ولدي، ما عادت الأرض تتسع لنا، لنركب البحر، حقائبي أين حقائبي؟

(تفتش عن حقائبها، وصوت سفينة يعلو)

غنتظروني، سأجمع كُلّ ما لدي من ذكريات وجواز سفري و.....

يقاطعها الصوت: اتركي كُلّ شيء.

الفتاة: لكنها أوراق عُمري.

الصوت: لا نفع بالعمر إن كان مرسومٌ على الورق.

الفتاة: وجواز سفري.

الصوت: سحنتك السمراء ودمعك الحار هما جواز سفرك.

الفتاة: وصورة طفولتي.

الصوت: ستشيخ في الغربة مثل النخل.

الفتاة: ورسائل زوجي.

الصوت: ستحملها الطيور المهاجرة نحو الشتاء.

الفتاة: وشجرة الزيتون التي أعشقها.

الصوت: ستجدين شجرة أخرى.

الفتاة: قاسٍ أنت.

الصوت: بلْ واقعياً أنا.

(صوت السفينة يتجدد وهياج البحر يعلو)

الفتاة: سأترك ها هنا عنوان غربتنا في المنفى.

إظلام

المشهد الرابع

(الظلام يخيّم على المكان الاّ من بقعة ضوء على قفص حديدي، يتحرك بجميع الاتجاهات، يمثّل سجناً، بداخله الفتاة، تحرك القفص إلى الأمام والى الخلف، وكأنها تبحث عن شيء ما، أو مخرج لها)

الفتاة: لأن همي أكبر من صوتي، دخلت السجن، لأني لا أحتمل الوجع الإنساني، دخلت السجن، لأن الحقيقية تحتاج إلى منْ يصرخ بها، دخلت السجن، هذا السجن هو صوت المحرومين ووجعهم، ليل الصبر وساعات القهر والصمت، لأني لا أبيع الحق بدرهم السلطة والعُهر، دخلت السجن، هذه أنا صرخة مدوية بين القضبان وخارجه.

(تجلس وسط القفص الحديد)

الليل هنا أرحم، لكن الأحلام ها هنا متشابهة، مثلما الأيام، تشبهني الأيام كثيراً، أرادوا لي أن أكون شاهدة على خسّتهم وعُرهُمْ، فأبيت، والنتيجة ها هنا، بين وبينكم، أفضل لي، فأنا لا

أحتمل الذّلْ والهوان، لا النفس الزائد من أنوف الغادرين.

(تقف، تقترب من القضبان كثيراً، الضوء فوقها تماماً)

ثمن الكلمة الصادقة هو زيارة هذا المكان، لا تكن صادق، فربما يأتون بك إلى هنا، وليكن، أنا قلت كلمتي وهو رائي، لا يهم، المهم إني لا أسكت، تعلم ألاّ تسكت، هي كلمة قُلها ومت، لا أخفيكم سراً إنهم ساوموني، نعم، ساوموني، بين الصمت والعيش بهدوء وسكينة، وبين هذه القضبان، والنتيجة تعرفونها أضنكم (تضحك هههههههه)، جاءوا للمرأة الخطأ، للنخلة الخطأ، للعطاء الخطأ، أنا أكبر من سجنكم هذا، اللبوة تبقى لبوة، وإن حوّطتها الأسوار الحديدية، لا أحتاج إلى خبزكم المعجون بالذلة والمسكنة والمهانة، يكفي إن الليل ها هنا صديق الجميع.

(تمسح القضبان بِكُمْ قميصها) لو كان لهذه القضبان لسان لروت لنا قصص المقهورين، حكايات الصبر والحيرة والانتظار المُرْ، لو كان لهذه الجدران...

(تدور بجميع الاتجاهات)

لسان لغنت أغنية المحرومين، وحزنهم وموتهم بهدوء، أني أشمُّ ها هنا، عطر كلمة صادقة، ولون قطرة دم نقية طاهرة، وظلال روح مقهورة، ها هنا تذوب الحشرجات في الصدور، وتنتحر الكلمات على الجدران...

(تقترب أكثر من القضبان، وتسأل) صحيح- ما ذنب الكلمة- تُسجن معنا؟ وأحلامنا، ما ذنبها أيضاً؟ وملابسنا، وخصلات شعرنا، (صوت رعد ومطر يهطل) أنت ثانية أيها المطر، أعرفك جيداً، ترفض أن تنام ببطن الغيم، وتعشق الريح والأرض والحرية.

(تُعطي ظهرها للقضبان)

ما تزال تلك الذكريات التي تملء الأمكنة الخرساء، ترنُّ في داخلي مثل أجراس الكنائس، إلى الأن تلك الطرقات تأبى نسيان خطواتهم...

(بصوت عال) لن أنسى ما حييت إن الحاجة المَرّة تكشف ذلة العيد وقلق الأمهات، السجن علّمني أن أنسى كُلّ الدنيا الاّ وجه السجان.

(تتحرك لإحدى الزوايا)

أجمل ما في السجن هذا، إن أيامهُ تتشابه، ووجعه يتشابه، وصبره يتشابه، حتى الليل ها هنا، هو نفسهُ لا يتغير، الدخول تصوّروا أيها السادة إن الدخول إلى السجن، هو بالمجان، كُلّ دقيقة هنا ليس لها ثمن ولا قيمة، بقاء السّجان مرهون ببقائك، أتعس أيام السّجانين هو يوم خروجك من السجن، حينما تنتهي اللعبة لا فائدة من النرد بعدها.

(الظلام يغطي المكان، أصوات طلقات ورعد ومطر، بعدها يعود الضوء تدريجياً فتظهر الفتاة والسجن مكسور)

إظلام

المشهد الخامس

(تفاصيل المشهد الأول ذاتها، الظلام يلفّ المكان، صوت طفل يبكي، وكأنه يُعلن عن ولادة صعبة ومخيفة، الموسيقى ذاتها، داكنة حتى بنغماتها، بحسّها الخائف، صوت الرعد الغاضب، يُمزّق هذا الظلام، ضوء البرق، ينكشف الظلام قليلاً، قليلاً، تظهر بقعة ضوء تشير إلى ذات الغرفة ذات أثاث البسيط المتواضع، المطر يهطل، والبرق يرسل ضوئه، وكلّ شيء كما هو، يتوسط الغرفة مهد طفل يتحرك إلى اليمين واليسار، يتقطع صوته بين البكاء والصمت، فِراشٌ ممدود وقطع قماش متوزعة حول مهد الطفل، البكاء والرعد والبرق يتواصلان)

الصوت: (أحدّقُ في المطر وهو يلتهم النافذة والليل يتدفق نهراً من الظلال[1]).

أحدِّقُ... كما أفعل منذ ألف عام وللمرة الأولى أرى الأشباح بوضوحٍ تام وهي تتابع حياتها

(١) الكاتبة غادة السمّان.

خارج الغرف الموصدة على الصدأ... أفتح النافذة، وأمد يدي إليها فتضمها -بأصابعها الدخانية- بحنان وأمضي معها إلى غابة المجهول، نتسامر بحكايا ما وراء المألوف.. آه كيف قضيتُ عمري كالحمقى أخاف من الأشباح، وهم مفتاح الليل وكلمة السر)

(بقعة ضوء تسلط على فتاة في العشرين من عمرها، تلفها ثياب سوداء، تدخل من أحد زوايا المسرح مبلولة وترتجف، الضوء يلاحقها، وكأنها تبحث عن مكان تحتمي فيه)

الصوت بهدوء مع عزف لآلة العود: نحن الطيبون نستطيع أن نتخلى عن أفراحنا وسعادتنا لمن نُحب، لنستمتع بفرح الآخرين حينما نراه مرسوماً على وجوههم، هكذا هم الطيبون، الحُزن الغائر كخنجر وسط الضلوع، نتحمّلهً لأجل من نُحب، نحن جميعاً من هناك، من ذات الطين الأسمر، من وجع السنين وغربة المكان.

الفتاة: يا لهذا المطر الطافر من السماء، مالك يابس مثل الأمس، (تعضُّ على أسنانها، تحاول أن تعّصر جزء من ملابسها ليتقاطر منها الماء) أووووف

ماذا سأقول لأمي الآن، مطر بلل ثيابي، أمي آه أمي، كم أنت رائعة ودائفة وجميلة، تمتلكين نهراً من الحنان والمحبة والطيبة.

(تجلس قرب المهد، تحركهُ إلى اليمينِ واليسار)

ها هنا كُنتُ، يقولون إنني كومة لحم حين ولدت

(تضحك بعفوية)

تخيلوا أنا كومة لحم، معقولة؟

(تمسك المهد تضمّهُ إليها)

الصوت: العائدون إلينا بلا توبة هُمْ أكثر منْ نتوقع حضورهم دائماً.

الفتاة: المطر يبلل القمصان والوجوه الداكنة وغيرها.

الصوت: العودة للأرض تشبه عودة المطر في الشتاء.

الفتاة: ما بأمرنا عُدنا.

الصوت: عليكِ أن تبتلّي بالمطر من رأسك حتى قدميك، كي تتخلصي من الشعور بمرارة الهزيمة.

الفتاة: لا أشعر بالهزيمة، بل الخذلان.

الصوت: وما الفرق يا صغيرتي.

الفتاة: الفرق واضح، يشبه الفرق بين الوصول، والتأخير.

الصوت: سفسطة كلام فارغ.

الفتاة: لغة المحرومين وسعادتهم، وهم ينتظرون الصُبح.

الصوت: لا صبح للمحرومين.

الفتاة: سيجيئ الصُبح.

الصوت: انتظرناه طويلاً.

الفتاة: الانتظار بداية الحضور.

الصوت: ترقبناه، مثل القمر الذي أكله الحوت.

الفتاة: القمر يبدأ هلالاً.

الصوت: الانتظار مثل رائحة الدخان يحمل المرارة واللهفة والذل.

الفتاة: ننتظر حتى يملّ الانتظار منّا.

الصوت: بلا جدوى.

الفتاة: أحسن من لا شيء

(يعود صوت الرعد والبرق والمطر والظلام الا بقعة ضوء تتوزع فوق المهد)

إظلام

(ســـــــتارة)

مسرحية

الناجي

مونودراما

شخوص المسرحية :

- **الرجل المسخ.**
- **القاضي... صوت فقط.**
- **مجموعة من الممثلين.**

المسرحية بمشهد واحد:

بيئة العرض: (المسرحُ مُضاء... أشياء مبعثرة هنا وهناك لتفاصيل غير متشابهة... ملابس وقطع أخشاب... مصابيح مكسورة وأسلاك كهربائية... قطع أقمشة متدلية من فوق... موسيقى مناسبة... يدخل الرجل المسخ، يظهر بملابس مختلفة بعض الشيء... فهي تركيبة بين الزي العربي والملابس الحديثة الملوثة والمليئة بالأتربة يحمل بيده سيفاً قديماً... وسلاحاً حديثاً... وعلى متنه يحمل شوالاً ملئ بأشياء يظهرها في إثناء العرض، يعتمر قبعة عليها قرنان... شعر في وجهه بصورة غريبة... الرجل المسخ.. لا يشبه الإنسان مثلما لا يشبه أي حيوان آخر... مسخ بكل ما تحمل الكلمة من معنى، يدخل إلى المسرح برعب وفزع).

الرجل المسخ: أين أنا؟؟؟ ما هذه الأشياء التي لا تشبه الأشياء؟ أين أنا؟ ترى على أي خارطة ولدت هذه المرة... (يشير إلى الجمهور) من أنتم؟ أنا لا اعرف أحد فيكم... ليس مهما ان تعرفوني

فأنا خلقني مؤلف هذه المسرحية واعتذر لقبح وجهي... هكذا أرادني السيد المخرج... لا دخل لي في الموضوع كل الحكاية إني أشبه إلى حد بعيد أبي... (يضحك) نعم.. لا تستغربوا أبي... كان جميلا وقبيحا... وكان شاعر... نعم شاعر... القبح أيها السادة نسبي... مثلما الشرف نسبي... كل الحقائق تقبل للنقاش إلا الموت... تعلمت ان المطر الذي يهطل من رحم السماء لا يكسر زجاج النهر فصفحات الماء ناعمة، وتستوعب نقر الأمطار... اسمع صوتا (يضع يده خلف إذنه) من أنا؟؟؟ أنا؟؟؟ أنا من ذاك التاريخ الأرعن... الأسود.. الأخرق... سمه ما شأت... من أين أتيت؟؟ من عمق المظلومين والمساكين، من جراحات الأمس، أنا من فتش عنه جنود الخليفة كي يكافئوه... ومن ثمة يقتلوه ويصلبوه على أبواب الكوفة عارياً.. أنا من كربلاء الخوف والرعب (موسيقى... وقع خيول صراخ عويل... صوت رياح...) لا تستغرب أنا هو الدمعة والضحكة... (يقرأ): ((يا أهل يثرب لا مقام لكم بها... قتل الحسين فأدمعي مدرار الجسم منه

بكـربلاء مضـرج... والـرأس منـه علـى القنـاة يدار[1]))

أنا هو الناجي الوحيد من معركة الطف... نعم الناجي الوحيد من هول تلك المعركة، لقد كنت في جيش ابن زياد... نعم وكنت في الصفوف الأمامية معه... لكن (يجلس أرضاً يرمي بشواله من على متنه.. يفترش الأرض...) لكني ما رميت عود شجرة صغيرة حول الحسين... كنت أترقب الموقف (موسيقى ووقع الخيول يتجدد وبقوة.. يخرج من شواله قربة ماء... لكنه يرميها بخوف) آه... يا ويلي أهذا ماء الفرات؟؟ بأساً لكم لا بأساً لنا جميعا... لكني لم ارمي حجرا واحداً حول الحسين... لكني أكثرت السواد.. نعم... أنا كنت مع الحسين... (يتساءل بحزن) مع من كنت؟؟ يا حسين القوم قلوبهم معك وسيوفهم عليك، أنا هو قلبي معك لكن السوط والسيف ابلغ... (يصرخ) كنت معك... (ينام على ظهره... يتقلب... يقف) قتلني مرة الحر ابن يزيد ألرياحي قتلني مرة أخرى عمر ابن

(١) الشاعر بشير بن جذلم.

سعد... أنا مت مرتين.. لا لا أكثر من مرة وللأسباب ذاتها... وفي نفس المعركة... سمعت الحسين يصرخ بكرامة الا من ناصر ينصرنا؟؟ فَسكتُ.. (يبكي) سكتُ... وقتلني مرة أخرى الحصين ابن النمير من قادة عبيد الله ابن زياد... قصص العائدين من الموت في معركة الطف تروى بأعجوبة... من نجا من هول المعركة كان يظن انه عاش مجددا... لكن الحقيقة المرة هي ان الشعور في تلك اللحظة... اللحظة الأخيرة لا يوازيه شعور آخر... سواد تام ثم ضوء ينبعث من بعيد، هكذا يصف الناجون من هول الموت، حالتهم وهم يعودون إلى الحياة من جديد، وكيف فازوا في تلك المواجهة المصيرية مع الموت. بعد ان القوا النظرة الأخيرة... نظرة الوداع الأخيرة على من حولهم... الحسين كان وحده واقفاً لا يخشى الموت (ينشد هذه الأبيات منتصباً:

فأن تكن الدنيا تعد نفيسة...
فأن ثواب الله أعلى وأجزل
وان تكن الأرزاق قسما مقدرا...

فقلت سعى المرء في الرزق أجمل
وان تكن الأجساد للموت أنشأت...
فقتل الفتى بالسيف أفضل
عليكم ســـــلام الله يا أل محمد...
فأني أراني عنكم اليوم ارحل[1])

(تتساقط من فوق المسرح بعض نبال وسهام خشبية.. في نفس اللحظة التي تنزل من فوق أيضاً قربة ماء جلدية مثقوبة يتقاطر منها الماء قليلا... ضوء احمر يلف المكان.. شاشة خلفية بيضاء يظهر فيها فرس يصهل أو يركض تتبعه سهام ورجال يركضون خلفه... الرجل المسخ يتلــوى وفــق هــذا المشــهد يعــوي بصــوت مســموع... يلهــث كأنمــا يــركض مــن مســافة بعيدة...)

الرجل المسخ: من ينقذني من هذه الورطة؟ من؟ أعطيه ما تبقى من عمري... من؟ في كل عام مكتوب ان اظهر للناس بهذه الخلقة.. في كل عام أموت ألف مرة وأحييا من جديد... في عاشوراء أحييا من جديد، والله ما رميت غصن صغير في تلك

(١) الشاعر جابر الجابري.

المعركة... لكني أكثرت السواد على أبي عبد الله الحسين... نعم... نعم.

(ظلام يلف المكان تدفع إلى وسط المسرح منصة خشبية متوسطة الحجم ملفوفة بقماش ابيض مرسوم في وسطها ميزان العدالة... صوت القاضي يمزق الهدوء)

القاضي: ويحك يا رجل... من أي زمان أنت؟

الرجل المسخ: أنا من زمن الفجيعة... من زمن القبح والجراح المميتة... من زمن الموت الأسود.. أنا من أمة قتلت ابن بنت نبيها...

(يركض باتجاه المنصة)

القاضي: تقصد من واقعة ألطف؟

الرجل المسخ: نعم يا سيدي أنا جئت من هناك... احمل فوق أكتافي ذنب السائرون إلى تلك الفجيعة.. احمل في جسدي ألف طعنة وطعنة لكن لم أمت (يضحك) لم أمتْ... لم أمتْ... كأنما أرادني الله أن أكون شاهداً الشاهد الوحيد على تلك الجريمة... الشاهد الوحيد على اغتيال البراءة والطهارة والبسالة والكرم.

القاضي: أتريد ان تقنعنا جميعا إنك موجود فعلا وأنك جئت من هناك... من عالم الموتى؟

الرجل المسخ: حقك يا سيدي... لا يمكن للعاقل ان يصدق إني كنت هناك، وشاهدتُ الأجساد المقطعة، لكن كيف أُقنعك بأني كنتُ هناك؟

القاضي: الديك دليل واحد على أنك كنت هناك؟... ثم وان جئت بدليل كيف نعرف انه من زمن الفجيعة، من واقعة كربلاء؟

الرجل المسخ: يكفي إني بينكم... (يبكي)... سيفي هذا كان مقبورا معي... وعمامتي هذه خنقت بها وجعي، الحسين أراد ألا تقع الحرب... لكنهم رموه بكل شيء... حتى بشهوة القتل التي يحملونها... رموه... كَرهَ الحسين قتالهم... لكّنهم رموه... .. رفع لهم حمامة السلام... لكنهم كرهوا دماؤهم فجعلوا قلوبهم على راحة الحقد لقتاله...

القاضي: وأنت... أنت نعم أنت... أين كنت حينها؟

الرجل المسخ: كنت... اعد خيوط الشمس المحترقة... خيطا.. خيطاً... كل الذين حولي كرهوا القتال خوفاً ان يلاقوا الله بدمه الطاهر... لكنهم

قتلوه... (يصرخ) قتلوه... زعموا انه خرج على إمام زمانه (يضحك)، قرروا مع أنفسهم ان يقتلوه...

(أصوات وقع حوافر الخيل وصهيلها... موسيقى مناسبة)

احتوشوا كأنهم كلاب برية متوحشة... سمعت فرسه ينعى فارسه... ويضع ناصيته في دم الحسين... وركض نحو الخيام وهو يصهل ويضرب برأسه الأرض قائلا: الظليمة.. الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها، فخر ميتاً... نعم ميتاً ونحن نراه أمامنا كقبة كبيرة هوت...

(صورة خلفية متحركة تظهر الفرس وهو يركض ويسقط)

القاضي: سيحاكمكم التأريخ... والناس والأطفال... ستحاكمكم الدنيا.

الرجل المسخ: أنا لم اقترف ذنباً... كل ما فعلته إني أكثرت السواد عليه.

القاضي: سيضل الحسين خنجر في ضميركم الميت،

الرجل المسخ (يركض داخل المسرح فزعاً يصيح): نار... نار... تركض خلفي تطاردني... نار...

(يهرش جسده صارخاً)

دود... آه... دود يأكل جسدي... أي لعنة هذه... في كل سنة أحيا من جديد لتحرقني النار ويأكلني الدود... دود... آه... دود (يصرخ) دود... دود.... الجرب ينهشني.

المجموعة بصوت واحد: دعْ عنك الناجي دعه... دعهُ... الفاسدون يترسون الأرض...

القاضي: الفاسدون!!!

المجموعة: الفاسدون... يفترشون التأريخ والأماكن.

(الناجي يتكوّر حول نفسه)

القاضي (بتساؤل): ومن أين نبدأ؟

(يُدفع إلى وسط المسرح صندوق انتخاب محروق ومجموعة معه تضحك)

المجموعة: ابدأ من النهاية... من البداية... المهم ان تبدأ...

صوت: من دوائنا المسروق... من الاف الأطفال يموتون بلا دواء صحي.

صوت: من رؤوس الفساد الكبيرة من خبزنا ومائنا.

صوت: من حقوق اليتامى والمساكين.

صوت: من وجع الشيوخ وحسرة الأرامل..

المجموعة بصوت واحد: من يسرقنا بوضح النهار.

القاضي: لكنهم كثر...

المجموعة: المهم ان تبدأ...

صوت: الحُسين كان وحده... وهم كُثْر.

صوت: الحُسين كان شجرة ظل في وسط الصحراء.

صوت: الحُسين كان سيفٌ على الظالمين... البدايات صعبة... لكنها ممكنة.

(تتدلى من فوق المسرح مجموعة من المكانس...)

القاضي: لكن الشقّ كبير.

صوت: والإرادة أكبر.

القاضي: وهل يصحو الناس؟

المجموعة بصوت واحد: جميعنا معك.

(الظلام يلف المسرح الا من ضوء واحد فوق الرجل المسخ وهو يقرأ هذه الأبيات الشعرية):

لا تتركي حجراً على حجر
يا ليلة الأرزاء والكدر
صبي على الدنيا وما حملت
من نار غيضك حارق الشرر
يا ليلةً وقف الزمان بها وجلا

يدون أروع الصور
وقف الحسين بها ومن معه جبلاً
وهم كجنادل الحجر
ما هزهم عصف ولا رعشت
أعطافهم في داهم الخطر
يتمايلون وليس من طربٍ
ويسامرون وليس في سمر
الا مع البيض التي رقصت
بأكفهم كمطالع الزهر
يتلون سر الموت في سور
لم يتله احد مع السور ويرتلون
الجرح في ولهٍ فكأنه لحن على وتر[1])
(تظهر قطع سوداء على الجدارِ... ويَدخل إلى التابوتِ ببطء... ويغلقهُ عليه... موسيقى).

إظلام

(ســـــتارة)

(١) الشاعر جابر الجابري.

مسرحية

تُرابٌ مُرْ

(ليسَ كُلّ ما تؤمِن بهِ، يُمكن أن يَصبح حقيقة)

شخوص المسرحية:

- الفلاح، زارعُ النخلِ، وحارسٌ للأرضِ، وأمينها.
- ممثل ١، سياسي يبحث عمّن يبقيه في كرسيّ الحكم للأبد.
- ممثل ٢، شاب مقاتل، استشهد، ويريد العودة للحياة.
- ممثلة شابة، تتمنى لنفسها جمال لا ينبغي لأحد آخر.
- الصوت.

الفَصل الأول
(مُحاولةُ التأثيرِ على الصَّحِ)

استهلال: المسرحيةُ لا تنتمي لِهذا الزمنِ، أو ربما ينتمي جُزء منها إليه، أحداثها لا تحتاجُ لتأثيثِ المكانِ، كي يكون على مَقاساتِها، بَلْ يكفي لرقعةٍ جغرافيةٍ بسيطة أُسمُها -وطَنْ- تكونُ شاهداً حَيّاً على ما يثارُ من تُرابِ الحقيقة في وجوهِ الأخرين.

المشهد الأول

بيئة العرض: (الظلامُ يلفُّ المكان، إلاّ من ضوءِ أبيض ناصع، يتوسطُ المسرح، الفلاحُ يَحرثُ الأرضَ، يهيلُ التراب على الجوانبِ، صوتٌ يصاحبهُ عزفٌ موسيقي مناسبْ)

الصوت: مُنّذُ الطوفان الأول والى الآن، الريحُ هي نفّسُ الريح، وأعواد البخور ترقصُ في عرسِ الناسِ وقبور موتاهم، مُنّذ الطوفان الأول والى الآن،

الحزن هو الحزن، والخوف هو الخوف، مشّطنا طرق الله بالبسملة والتهليل، وعدنا من جديد نعدُّ الخطوات، نكتب أخطائنا على وجه الماء، ونعود من جديد لنخطأ... يا أيها الحالمون بالغد اما آن لكم أن تصحو؟ أكاد أشمُّ رائحة الخذلان تفوحُ من بين أنامِلكم التعب، من بين عيونِكم التي عاش فيها الخوف حتى ملّ العيش فيها، كونوا بمستوى تأريخكم، ذلك التأريخ الذي ضمّ بين دفتيه عناوين مجدكم وكرامتكم، الأوراق نفس الأوراق، لم تتغير، الا نحن.

(ينكشف الضوء قليلاً، يظهر في الوسط ثلاث مكعبات خشبية فارغة)

الصوت: ماكينة الجوع التي طحنت أغلبنا ما زال شيء منها يوخز في الخاصرة، وكأنه يريد لنا ألا ننسى بعضا من تأريخنا المُرْ، هو الجوع إذاً، وليس الطوفان، أو ربما الطوفان والجوع معا، مَنْ يدري! إذا اجتمعت على الفقير النوائب تجتمع كلها وبكل تفاصيلها، حتى لا تترك خرم إبرة الا ودخلته، هو الجوع إذاً، الجوع وهذه السنوات التي نحملها على أكتافنا هي التي تفسر بقائنا

إلـى الأن، أيهـا الحـالمون بغـد أجمـل، عيشـوا لحظـة الانتظـار والترقـب، الغـد آت، مراكـبُ الشمس سَتحطُّ رحالها في بلادِنا، ويكون العيد سعيداً.

(صوت ينشد بعذوبة: أي شَيءٍ في العيدِ أُهدي إِلَيك يا مَلاكي وَكُلُّ شَيءٍ لَدَيكِ[1])

الفلاح (يردد): أي شَيءٍ في العيدِ أُهدي إِلَيكِ؟

(يضحك ويترك المسحاة تقع أرضاً)

وَكُلُّ شَيءٍ لَدَيكِ، اذاً لِم تسأل يا صديقي؟ وكل شيء لديها، نحن المجبولون على الخَبَلِ، نساوم في أسئلتنا، لا ندري ما نريد، المهم أن نكون على قدر العشق، على قدر رجولتنا تأتي الفحولة والعزيمة، نحن المجبولون على الخبل نعشق حدْ الجنون، أوليس العشاق المجنون منّا، يقال وعلى حدْ معرفتي إن نصف العشاق المجانين حول العالم من بلادنا والنصف الآخر جُنّ بقصص العشق العربي.

(١) من قصيدة للشاعر إليا أبو ماضي.

(يدور في الأرجاء، يفتش عن شيء ما)
كان هنا، أضعته هنا، أتخيل إني أنزعه هنا، ويضيع مني هنا، وفي النهاية أجدهُ، لعبة يلعبها معي ذاك الخاتم، ذاك الرِباط الأزلي، خاتم السماء هو كل ما تبقى منها ومني.
(يلمس كفهُ)
كان هنا، أحتفظ به حتى ترك أثراً فوق الجلد، الأشياء العظيمة هي التي تترك أثراً في الوجدان وفي الذاكرة وفي التأريخ، مَنْ يَمرُ في هذه الدنيا دون أن يترك فيها شيئاً، يضيع مِثّل دخان بلا طعمٍ ولا لونٍ ولا رائحة.
(يبحثُ في الترابِ)
الخاتم الذي يلعب معي كل يوم لعبة الاختباء، هو نفسهُ، هو عيّنهُ الذي أجده في نهاية اللعبة، وكأنه يريد أن يقول لي: إياك أن تنسى.. أنسى؟ وكيف للإنسان أن ينسى جراحهُ كيف؟ هذه الدنيا أيه السادة (يقف منتصباً) هي حدٌ فاصل بين أن تعيش أنت وكل ما تمتلك من ذكريات وجراح وبطولات وخيبات، وبين أن تكون

خـارج دائـرة الضـوء، التـأريخ هـو مَـنْ يتكفـل بالتسجيل، دع عنك هموم الدنيا.

(يضحك، ويتوقف)

همـوم الـدنيا، نحـن مَـنْ يَصّـنعها، نعـم، بـل نبتكـر أشـياء غريبـة كـي نتلـذذ بعـذابنا، أيـن أنـت أيهـا الخاتم العزيز، أعرف إنك تختبأ في التراب هـذا، هـذا التـراب الـذي رضـعّتُ مـن رِضـابِه عمـراً، السـماء التـي أُحـبْ، أورثتني ذاك الخـاتم، وأبـي أورثني هـذا التـراب، وآمرنـي أن أزرع نخلـة هـا هنـا، نعـم هـا هنـا، قـال لـي: النخلـة عمـة أبينـا، لا تفرط في النخل، وأنا سوف لا أفرط في النخل ولا أتـرك الخـاتم. (بصـوت أعلـى) الخـاتمُ لِمَـنْ يستحق.

(يشّبك يديه خلف ظهره وهو ينظر إلى التراب)

ما أعظمك أيها التراب، يخرج من بطنك النخل والمـاء والشـجر، ينـام علـى وسـادتك الحـالمون والعاشـقون ويغسـل وجهـك المطـر، يتوسّـدك العشبُ، يذوب في مساماتِك الميتين، يغني فيك من غادرك لأنك الوطن، أيها التراب بين ذراتك الأن حلـم النخلـة والخـاتم، المغتربـون يقولـون:

كلما نبتعد عنك نفقد ذاك البريق المعجزة، أنت أيها التراب الوطن، عكس الصورة، فالصورة كلما تقترب منها لن تشاهدها بوضوح، الاّ أنتْ.

(يصّعدُ على أحدِ المكعبات، تضاء وحدها فقط)

يقول تولستوي: سوف تموت، وسوف ينبتُ العشب على قبرك وينتهي كلَّ شيء، وأنا أقول: مَنْ يحْفرُ اسمه في وجع الأرض شهيداً، لا ينتهي، مَنْ يغّسلُ وجه التأريخ بدمهِ لا يغادر الذاكرة، مَنْ يزّرع روحه نخلة في التراب المُرْ لا يموت هكذا، كُلّ شيء يعطيه الإنسان بإرادته هو صادق فيه ولا يكذبْ، مَنْ غادرنا شهيداً لا يكذب، مَنْ باس الأرض بدمه لا يكذب[1].

(الصوت يعاود مصحوباً بموسيقى مناسبة)

الصوت: أيها الناس، اليوم سيكون معكم شيء من نتاج الأرض، فلاح، ومقاتل، وسياسي، وسيدة، والخاتم، شيء من نتاج الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا مثالاً لنتاج الأرض ورحمها، لكنهم جميعاً من لحمها وشحمها كما يقال، كلهم يبحثون، يبحثون عما ينقصهم، أو يكمّلُ

(١) تولستوي: روائي أديب من أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر.

حياتهم، كُلّ يغني على ليلاه، لكنهم لا يتشابهون في شيء، الاّ فيما يطلبونه من حارس الأرض، طلبات الناس تختلف فيما بينها، لكنها تتوحد في الصورة، أو تتقاطع في المعنى، الفاصل بينهم الرغبة والدهشة والأمنيات، ستكتشفون لوحدكم أيها السادة عما يبحثون، ليس مهماً إن وجدوا شيئاً أو لا، المهم إنهم سيبحثون في التراب، في الأرض، في جعبة الفلاح، لآن المعادلة الكونية تقول: ما يسقط من السماء تلتقطه الأرض، الأرضُ سَلّة أشياؤنا، صندوق أسرارُنا، مُنذُ قابيل وهابيل والغراب، وهي تَلّمُ ما يتساقط منا وتحّميهِ، الأرض سرُّ بقاؤنا.

(الصوت يرتفع وبحذر يصرخ)

أيها الفلاح في كلّ مرةٍ سيأتي إليك من نتاج الأرض مَنْ يساومك على الخاتم.

(الفلاح يصّعدّ إلى المكعب الثاني، يُضاء)

الفلاح: قال أحدهم: يوماً ما مَررتُ بأحد المقابرِ، فرأيت قبراً كُتبَ على شاهدهِ (هنا دُفن الزعيم السياسي المُحنك، هنا يَرقدُ الرجل الصادق) فسألت نفسي: كيف يُدفن الاثنان معاً؟

(وهـو يَسّـألُ ويُفكّـر، يُـدير ظهـرهُ إلـى إحـدى الزوايا)

الفلاح: صحيح، كَيفَ يناما معاً في نفس التربة؟ كَيفَ؟ الصّـدقُ عنواناً للنجـاة، لا يجتمـع مـع المهادنـة، والمسـاومة، كـي تكـون سياسياً عليك أولاً إتقان اللعبـة القديمـة -الغايـة تُبـرّرُ...، أكملـوا أنـتم، عليـــك أن تـــؤمن جيـــداً بالهزيمـــة والفشـــل والخـذلان، النـاس ليسـوا كأسـنان المشـط فـي مزاجهم، يتقلبون ويميلون كأغصان الشجر، أما أنت أيها السياسي فإذا فشلت غيّر أسلوبك ولا تغير مبادئك، فالأشجار المثمرة تغّيرُ أوراقها ولا تُغيّرُ جـذورها، السياسـيون النـاجحون، وحـدهم يعرفون إتقان اللعبة، حطْ زايد تأخذ زايد.

(يضحك وهو يردد: حطْ زايد تأخذ زايد)

السياسـيون بوعـودهم الزئبقيـة، يأخـذونكم إلـى النهـر ويعـودون بكـم عطشـى، لا تسـتغربوا، فـن اللعبـة هكـذا، المهـم العبـرة فـي البقـاء، سـحر الكراسي المُبهر، يخطف الأضواء، ويسيلُ عليه اللعاب، بعضهم لا يعيش بدون الكُرسي، يموت مبكراً، تقتله الحسّرة.

(يستقيم في وقوفه)

كـي تكـون سياسـياً عليـك بـالجمهور، نعـم، اسّـمعُهمْ، لـيس بالضـرورة أن تنفـذَ لهـم مـا يشـتهون، فالنـاس مزاجـاتِهم مُتقلبـة، قـدْ يؤمنـون بما تقول، لكنّ من السـهل أن يتأثروا بغيرك، فـن الإقنـاع ضـروري، بعـض الجمهـور أو النـاس، سـمّهم بمـا تشـاء، يحترمـون مَنْ يُعبّد لهـم طريـق المـدن بالكـذب والخـداع، بـلْ يتنافسـون علـى مسح أكتافه.

(صوت يردد: حطْ زايد تأخذ زايد)

(الفلاح يصّعدّ إلى المكعب الثالث، يُضاء)

الفلاح: بيّنَ الإحساس بالحُبِ وبين التردد، مسافة، كأنها المسـافة التـي تفّصـلُ بـين الـولادة والمـوت، كلاهمـا علـى حـدّ الوجـع واللهفـة، العِشـقُ زاد الفقـراء، والمـرأة منّـذ التـأريخ تسـير في دمنـا قـوة وتضـحية، المـرأة هـاجس وضـلع الرجـال، نبحـث عنهـا، إذ هاجرتنـا، نَتحسـّس جلودنـا إن لـمْ تَكُـن معنا، بيّنَ الإحساس بالحُبِ للمرأة وبين الجنون خيط رفيع، المـرأة أكبر منـا في اللهفـة، هكـذا أنـا أتقـد، لكنهـا تُناصـفنا اللهفـة في الغربـة، هاجسـها

الولادة من الخاصرة والجمال، تبحث عنه في بطن الحوت وأشجار الياس وأعواد البخور، لا تَقتربُ من مساحتها، لا تُزاحمها على الأمومةِ، فهي تَشّعر بأن الأمومة عطاء والجمال هو البقاء، فالمرأة الجميلة بعفّتِها، لا يوجد قُبحٌ في النساءِ، فالمرأة ما كانت يوما ما جسدٌ ورغبة، لكنها المحتوى، لكنها الوطن.

الصوت: إنما النساء شقائق الرجال، تأتيك في الحُلم تعانق سماؤك كالمطرِ، المرأة والجمال ثنائيتان متلازمتان، تبحثُ عنه حتى تجدهُ، في ترابك هذا يسكن الجمال، ستأتيك لتبحث معك وعن خاتمك الذي أضعتهُ بين ذراته تلك، ستأتيك محملة بعشق الدنيا وتُسجُل في دفاترِ أيامك أيها الفلاح: إن المرأة وهجٌ يبدّدُ الظلام.

الفلاح والصوت معاً: (عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ
جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري[1])

إظلام

(١) من قصيدة للشاعر علي ابن الجهم.

المشهد الثاني

(الفلاح يزرع فسيلة نخل صغيرة، يُعدّل التراب من حولها، منهوك بعملهِ، تدخلُ الممثلة وهي تسحبُ بيديها مرآة بطولها تقريباً، موضوعة على أربع عجلات صغيرة، شعرها يغطي وجهها تماماً، تقف بالقرب من المكعب الثاني، ظَهْرُها إلى الجمهورِ، وبحركات راقصة مع المرآة، تَدورُ حوّلَ الفلاح وتعودُ إلى المكعبِ) الفلاح: يا أيها الخاتم الذي ضاع مني بالأمسِ، اما آن لك الظهور؟ لست مستعداً للتفريط بك، يا أيها الخاتمُ أنت جزء مني بعضي يعيش فيك، وحدها الذكريات باقية، وأنت ذكرياتي.

(الممثلة تنتبه إلى الفلاح، تقترب منه، تترك المرآة جانباً)

الممثلة: أُريد أن أكون له، أنا المرأة التي يُحبها، أنا المرأة الوحيدة.

(تدور نحو الجمهور، تزيح الشعر عن وجهها)

لا أريد أن أكون محطة سفر من محطاتهِ التي لا يبق فيها، أنا الجمال، أنا اللهفة، أنا قصيدة الشعراء وحُلّمهمْ.

(الفلاح وكأنه لا يشعر بها، يواصل حرث الأرض والبحث عن الخاتم)

الفلاح: الترابُ لا يكذبْ، ولأننا لا نملك السلطة عليه، فهو لا يكذب، التراب وحدهُ لوعة الغربة، وأنين المرضى، وحديث جدي عن الزمن الجميل.

الممثلة (باستغراب): ما بال هذا الرجل! يتركني أتلوى دون أن يتحرك فيه شيء، مَنْ لا يحركه جمال الأنثى مخبول، المرأة ملحُ الأرضِ، وحلاوة ما ينبت فيها.

الفلاح (يقبض بيديه بعضاً من التراب): الحقيقة الكاملة مُرّة، والتراب هو الحقيقة، وخاتمي ضاع ها هنا.

الممثلة (بصوت عال): أنا الحياة أنا الأنثى الجميلة، أنا الغرور، أنا الغواية.

(تخرج من جيبها مشطاً، تبدأ بتسريح شعرها)

الفلاح: ضياعُ الأشياء لا يعني نهاية العالم، وأنا ازرع هذه النخلة في نفس الوقت الذي أضعت خاتمي هنا، هذا الخاتم.

(يقف منتصباً، وكأنه يهمس، لا يريد لاحد أن يسمعهُ)

يقول جدي: في الخاتم هذا سُرُّ الأرض، فلا تترك أسرارك تضيع، في الخاتم هذا نصف الحقيقة التي نبحث عنها، ونصف الحقيقة هي حتماً أفضل من لا شيء، الخاتم أيها السادة هو الخرافة هو العلم هو الكراهية هو الحب الزائف هو اللذة هو العودة من جديد، هو شرف الرجال وعفة النساء، الخاتم هذا نوايا السياسيون وطموحهم.

الصوت (بموسيقى لافتة): والباحثون عنك أيها الخاتم كثّرٌ، سيبيعون أي شيء كي يحصلوا عليك، لا تستغربوا، أنتم لا تعرفون ردود الفعل حينما تتعلق حياتكم بخاتم ليس إلاّ.

الممثلة: الخاتم، نعم هو الخاتم، لكن كيف سأقنع الفلاح بتسليمي إياهُ؟ كيف؟

(تضحك بغنج، تمسك وجهها، وبقية أجزاء جسمها)

الغواية فن الممكن، والخاتم سيكون لي، التفاحة التي أخرجت أبونا أدم هي نفس الخاتم،

وإن أختلف المعنى والمكان والزمان، والجمال سيكون لي، من سيكون معه الخاتم، سيملك ذاك التراب.

الفلاح: كان جدي يقول: كُن أكثر حذراً، الألمُ سيجعلك أشدُّ قوة، والخَوف جُبن الرجال وكاشف لعورتهم والتجارب هي مَنْ تجعلُ منك حكيماً.

الممثلة: عليَّ أن أعمل سريعاً، سمعتُ أمي تقول يوما ما، حَصّني نفسُك بما تمتلكين، ودافعي عنهُ، نعم يا أمي الخاتم سيكون لي، لكن سأتنازل قليلاً عمّا أملك هذه المرّة يا أمي، الجمال سيأتي بالفرص الكبيرة ثانية.

(تقتربُ من الفلاحِ، ينظرُ إليها، تُثيرهُ، تحاول أن تَمسَّ جسدهُ)

الفلاح: إنها امتحاني الأول، هل سيصمد بيتي الخشبي من رياح هذه المرأة المصيبة؟ يا جدي إنها المرأة يا جدي.

(يركض إلى زاوية من الزوايا)

الممثلة: ما بالك أيها الرجلُ؟ لما تهرب مني؟ اقتربْ، تعالَ.

(تشير إليه بيديها)

الفلاح: يا جدي لم تقلْ لي عن المرأة شيء؟
الممثلة: اقتربْ، فأنا لست بعبعاً، اقتربْ.
(تسير إليه، يركض بالاتجاه المعاكس لها)
الفلاح (بقلق): يا جدي، أين أنت؟
(تعود باتجاهه، حتى تقف بوجهه تماماً)
الممثلة: توقف، هل أنت فلاح هذه الأرض؟
(الفلاح يَهزُّ رأسهُ بالإيجاب)
الممثلة: طيب، اسمع.
(يقاطعها الفلاح)
الفلاح: وتريدين الخاتم؟
الممثلة (بذهول مع نفسها): وكيف يعلمُ بما أريد؟ لا يهم، نعم.
الفلاح: وبهذهِ السهولة؟
الممثلة: لُكلّ شيء ثمن.
مع نفسها: (ما دام طرح السؤال، إذاً هو يُريدُ المساومةِ، وها نحن في مُنتصفِ المسافةِ)
الفلاح: وثمن الخاتم؟
تقاطعه الممثلة وتضحك: ما تشتهي الأنفس.
الفلاح: اسمعي يا.....
الممثلة تقاطعه: شهرزاد، أسمي شهرزاد.

الفلاح لنفسه: وأنا أكيد لست بشهريار.

الممثلة باستغراب: ماذا قلت؟

الفلاح: لا يهُمْ، ما تبحثين عنه ليس هنا.

الممثلة مع نفسها: بدأ يماطل الملعون، نعم مِن حقهِ هذا، فالأشياء الثمينة تَستحقُ المماطلة.

(تدور حولهُ وتنظرُ باتجاه فسيلة النخلِ)

الممثلة: اسمع يا هذا، دعنا لا نلعبُ لعبة القط والفأر، فلا يليق بالفرسان هذه اللعبة، أنت تعلم جيداً ها هنا موجود الخاتم، (تشيرُ إلى الترابِ والفسيلةِ) فإن كُنت تدري فهذا هو المطلوب وإن كُنت تدري ولا تريد أن تعطيني إياهُ فذاك كلام آخر.

الفلاح يعود لحرث الأرض قائلاً: وأنا أكرهُ أن ألعب تلك اللعبة السخيفة، هو ليس هنا، والسلام.

(تتحرك الممثلة إلى إحدى الزوايا)

الممثلة: لا تنسحبي بسهولة، الكلام آخذٌ وردْ، لا تُغلقي جميع النوافذ، هنالك مَن لا يستجيب لك طَمع بربح الكُلّ، لا تَرمي بجميعِ أسلحتك، فخسارةُ نِصف الكرامة خيرٌ من خسارةِ الكرامةِ بِرمّتها، لازال في قَوْسِ التَّصَبُّرِ مَنْزَعُ.

(تتجهُ نحو المرآة، تُرتبُ ثيابها، تُمشط شعرها، وتعودُ باتجاه الفلاح)

الممثلة: اسمع يا هذا، أنت رجل طيب، وأنا حَرَثتُ الدنيا بحثاً عن ذاك الخاتم، لا تَقُلْ إن الخاتم ليس هنا، فَكُلُّ ذرة تراب أمامك تنطق بوجوده ها هنا.

(تقتربُ من الترابِ تُحاول أن تمدَّ يدها إليه)

الفلاح يصرخ: لا تلمسي هذا التراب، ما لمْ نتفق مسبقاً.

الممثلة لنفسها: عاد للمساومةِ، ما أغباهُ حين يساوم.

الفلاح: شرطُ اللّمسِ، طهارةُ الروحِ، غَسّلُ من الذنوبِ.

الممثلة: مم، مم، يعني.

الفلاح: أنْ نكونَ بلا ذنوب.

الممثلة تسألُ: مَنّ منا يا سيدي بلا خطيئة، بلا ذنب، مَنّ منا بلا ماضي؟ دعنا أمام الله نَدفَعُ فاتورة أخطاؤنا، ما شأنك والذنوب، نحن أمام الله سنكونُ عُراة ولا نَخجلُ. (تقترب) استمع لي، الحياة أنثى، وأنثى مغرورة، تغوي الآخرين، وما نحن الاّ بشرٌ، دعْ عنك المُثلِ والقيمِ.

الفلاح: شرطُ مَنْ يمسَّ الخاتم ويلبسهُ.

الممثلة: لا شَرّط مع الرغبةِ، مَنْ يسكنُ بيتاً ليسَ ببيته سَيطّردُ مِنهُ وإن قاوم، دعنا والخاتم نتباصرُ، إذا ما رَفَضَنا سَيُسجّل لنا التأريخ إننا حاولنا.

الفلاح يسأل: ما حاجتكِ للخاتمِ والعمر يمضي؟

الممثلة: ما عُمّرُ النساء إلاّ تهمة واهية، وبمزيد من المساحيق والعطور والأناقة والكلام المعسول، تظهر البراءة من تلك التهمة.

الفلاح: كسرٌ بجمعٍ لن تجدي الخاتم.

(تبتعدُ عن الفلاحِ قليلاً وتقتربُ مِن الفسيلةِ)

الممثلة: تقصدُ إن الخاتم هنا، في هذا التراب وليّسَ معكَ.

الفلاح: الخاتمُ جزء من هذا التراب.

(تقتربُ أكثر من الفسيلةِ وتمدُّ يَدها إلى التراب، فتخرجُ صرخة مدوية)

إظلام

الفصل الثاني
(وتستمرُّ المحاولة، ويبقى الحُلم)

المشهد الأول

(فسيلةُ النّخلِ بَدتْ كبيرة بعضُ الشيءِ، الفلاحُ إلى جانبِها، بموسيقى مناسبة يدخل الممثل ١ وهو يجلسُ على كُرسي رسمي وفير، بعجلات متحركة، الممثلُ بهيئتهِ الرسمية، يبدو عليه الحَزّم، يقفُ بالقربِ مِن أحدِ المكعباتِ، يتّركُ الكُرسي، يُخرِجُ من جيبهِ قطعة قماش، يبدأ بمسح الكُرسي، وكأنهُ لا يرى الفلاح)

الممثل ١: الأمّثالُ تُضرب ولا تُقاس، ومثّلُ هذا الكُرسي المُفصّل تماماً على شخصنا الكريم، يقالُ لِكلّ مجتهدٍ نصيبْ، ولا يَصحُّ إلاّ الصَّحيح، فعلاً فنحن خدام الشعب، نسعى لِفتحِ كُلَّ الأبواب المغلقة وتهيئتها للمواطن وخدمتهِ.

(يمسحُ أرجل الكُرسي، ويدعكُها بقوةٍ، ينفخ بعضاً من زفيره وسط قطعة القماش ويواصل المَسحْ)

أن تكونَ في خدمةِ المواطن فَهذا شرفٌ كبيرٌ لكَ، ولا بأس أن تلّتفِت إلى نفسكِ، أنا أكرهُ سياسة اللفَّ والدوران، وأحتقر أولئك الذين يمّسحون على الأكتافِ، لكنْ عليكَ أن تتنازل بعض الشيء إن لزِمَ الأمرُ.

(يرفعُ رأسهُ باتجاه الفلاحِ، يقفُ، يتجهُ إليهِ)

عُمتَ مساءً يا طَيّب، يبدو إنك زارعُ النّخلِ وحارسُ الأرض.

(الفلاحُ مشغولٌ، لا يلتفتُ إليهِ)

الممثل ١ لنفسهِ: يبدو إنهُ لا يعّرفني، مُمكِن، فأنا أكرهُ الظهور في الإعلامِ.

(يقتربُ أكثر منّهُ) يا طَيّب، وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ...

الفلاح: وعليكم السلام.

(يقفُ الفلاح مُواجهاً الممثل ١) نعم، تفضّلْ.

الممثل ١(لنفسه): جميعُهمْ هكذا في البدايةِ، ثم سرعان ما، (يُقاطعُ صمتهُ الفلاح).

الفلاح: يبدو إنك لا تَسمعْ.

الممثل ١: بالعكس، كُلّي آذانٌ صاغية، أردت أن أسألك.

(يقاطعهُ الفلاح)

الفلاح: تسألُني عن الخاتمِ.

الممثل ١ وكأنهُ تفاجأ: أي خاتم تَعني؟

(يتركه الفلاح ويعاود حرث الأرض)

الفلاح: الخاتمُ الذي تعرفهُ وأعرفهُ، التراب الذي يضمّهُ، الخاتم المُعجزة.

الممثل ١: وما العيبُ إن طالبت بهِ؟

الفلاح: أولست تكرهُ سياسة اللفَّ والدوران؟

الممثل ١: نعم، وأموت مُنها.

الفلاح: إذاً ادخل من الأبواب مباشرة (بإستخفاف) يا طيب، عُمت مساءً.

(الممثل ١ يقفُ في إحدى الزوايا، يفرّكُ بيديهِ ويبتسمُ)

الممثل ١: هذا الرجلُ لَنْ يتعبُني، سهلٌ جداً (يوجه كلامهُ للفلاحِ) ما دمتَّ تطلب الدخول من الأبوابِ، فهذهِ بداية ممتازة، اسمع يا صديقي، في زمانِك هذا، كَثُرَ فيهِ مَنْ يدعونَ الفضيلةِ، كَثُرَ فيهِ الممثلونَ، وسرّاق الجُهدِ، والصاعدون على الأكتافِ، الطامعون بالوصول إلى أي مكان بأقلّ التكاليفِ.

(الفلاح يقترب منهُ)

الممثل ١: المُشّكِلة يا صديقي، إن الوصوليين يحملون السلالم على أكتافهم كي يتسلقوا بها إلى ما يريدون.

(يقاطعه الفلاح وهو يمسك كتفه)

الفلاح: وأنت الفقير إلى الله الذي لا يفّهمُ بطمّسِ الحقائق وفن الدعايةِ وحمل السلالم.

الممثل ١: وحقكَ يا صديقي، ما أنا إلاّ ساعٍ في خدمة الناس، وأتمنى أن تساعدني في ذلك.

الفلاح: وكيف؟

الممثل ١: تُعطيني الخاتم.

الفلاح: هكذا وبهذهِ السهولة؟ بهذهِ البساطة؟

الممثل ١: ستكون ذراعي الأيمن.

الفلاح: أعرفُ مثلك تخلى عن ذراعيهِ في أوّلِ إختبار للنزاهة.

الممثل ١: أكتبُ لكَ تعهداً خطياً.

الفلاح: مِنْ قبلكِ قرأنا عهوداً كُتبتْ بالدمِ.

الممثل ١: حَدد أنت ما تُريد.

الفلاح: كيف أحددُ ثمنُ الخاتم يا هذا، وهو شرفُ الكلمة، طُهرُ اليدين، عناءُ المقهورين، أنينُ الثكالى، هو عَطاءُ الأرضِ.

الممثل ١: لا تستعجل يا صديقي، أنا ما جئتك من مدينةِ الشياطينِ.

الفلاح: أكيد، وليس من مدينةِ الملائكةِ

الممثل ١: كُنْ واقعياً، دعْ عنكَ المُدُن الفاضلة، وتعال معي، تعال (يَمسكُ ذراعَ الفلاح) سَنعملُ على خدمةِ الناسِ، وسيُسجّلُ لكَ التأريخ، إنكَ ساعدت سياسياً، مسؤولاً، كي يبقى في كرسيّ الحُكم إلى زمنٍ آخر، إلى قيام الساعة.

(الفلاح يَفلتُ من ذراعهِ، مُبتعد، صارخ بوجههِ)

الفلاح: دعني، تُريد البقاء إلى ما لا نهاية، ومنْ للنائمينَ على حُلمِ الغدِ الجميلِ، ومنْ للمَحرومينَ من كسرةِ خُبز شريفة.

(الممثل ١ يحاول الاقتراب من التراب وفسيلة النخل، فتخرج صرخة مدوية)

إظلام

المشهد الثاني

(فسيلةُ النخل بدتْ كبيرة، نخلةٌ متكاملة، الفلاح إلى جانبها يساوي بعضاً من تُرابِها، موسيقى مناسبة، يدخل معها الممثل ٢، وبملابسه البيضاء التي تبدو وكأنها كَفَنْ، يجرُّ وراءهُ نعشٌ خشبي، الضوء فوق الفلاح والنخلة، ويسير الضوء مع الممثل)

الممثل ٢: مَنْ يعتقدُ إن الأرض هذه مجرد تراب، واهمْ، الأرضُ حُلمَ العودةِ، وجعُ الطفولة وقهّرُ الغربةِ الأرضُ (يقفُ، يتركُ النعش إلى جانبهِ) جرحُ الفلاحِ وكرامتهُ، عجبّتُ، كيف يختفي الميتون ويذوبوا بتراب الأرضِ؟

الفلاح يمسك ذراع الممثل قائلاً: الخاتم والنخلة والتراب، ثلاثية الهوية التي يريدُها التائهون.

الممثل ٢: البداياتُ تسّبقُ النتائج، والترابُ بداية، والنخلةُ حُلم، والخاتمُ أمنية.

الفلاح: مِنْ أي زمانٍ جئت؟ الميتونَ سرابُ اللهفة، ما عادت الأشياء تشبهُ الأشياء، وأنت صورة الأمس.

(الممثل يتركَ الفلاح ويسحبُ النعش ليكون قريباً للنخلة ويذهب إلى زاويةٍ أخرى)

الممثل ٢: الأرضُ تستحق العودة، تُرابها محمولاُ في حقائب السفر ونعش الموتى، جئت

(يقاطعهُ الفلاح وهو يقترب منه)

الفلاح: ابقْ هناك، رمحٌ في خاصرةِ الأعداءِ، إما نحن فسنكتبُ فوق حائط الوطن: عندما يصحو الشهداء من موتهم الأخير، سأقومُ بتهنئتهم لوصولهم بالسلامة، فهم الناجون الوحيدون من المجزرة الأخيرة[1].

(يمسك الممثل ويدور معهُ): هل تُريد العودة من جديد؟

الممثل ٢: نعم.

الفلاح بذهول: وهل أنت مستعدٌ للتفريط بما أنجزت؟

الممثل ٢: مَنْ يُعطي يا صديقي لَنْ يكون مستعداً للتفريط بعطائهِ.

الفلاح: ولما تُريد العودة؟

الممثل ٢: كي أموت من جديد على تُرابِ أرضي.

الممثل ٢ (يخرج من بين يديه خاتم): هذا الخاتمُ عنوان الأرض، أعطيهِ لمنْ يُحبها، هذا الخاتمُ مهرُ

(١) من قصيدة للشاعر محمود درويش.

التراب المُرْ، لا يمسّهُ إلاّ العاشقون لهُ، مَنْ يحلم بالعودة للأرض عليه أن يقبلُ بشروط التأريخ، لا تُفرط بالقيمةِ العُظمى من أجل بقايا وعود كاذبة.

(ظلامٌ يلفُّ المكان، وهجٌ ساطع يُسلّط فوق الممثل ٢ وهو يدخل إلى النعش)

الصوت: مُنّذُ الطوفان الأول والى الآن، الريحُ هي نفّسُ الريح، وأعواد البخور ترقصُ في عرسِ الناسِ وقبور موتاهم، الخاتمُ مُلك الأرضِ، والترابُ وحّدهُ، لهُ الحق في تسليمه إلى مَنْ يشاء، والترابُ عادلٌ.

(ينكشف الظلام قليلاً، تظهر النخلة وقد إلتصق بها رافعاً يديه نحو السعف، الممثلة والممثل ١)

الفلاح: وسيبقى الخاتم معك، أيها الماسِك بكفيكَ دم الشهادة وأغنية الوطن، وستبقى الأرضُ حُلّمُ الناسِ وأمل العودة.

الصوت: مُنّذُ الطوفان الأول والى الآن، الريحُ هي نفّسُ الريح، وأعواد البخور ترقصُ في عرسِ الناسِ وقبور موتاهم، مُنّذ الطوفان الأول والى الآن، الحزن هو الحزن، والخوف هو الخوف، مشّطنا

طـرق الله بالبسـملة والتهليـل، وعـدنا مـن جديـد نعدُّ الخطوات.

صوت مدوي: الخاتمُ مُلك الأرضِ، والترابُ عادلٌ.

إظلام

(ســـــتارة)

مسرحية العَطشُ
بِتوقيتِ الكُوفة

النص الحائز على الجائزة الأولى في مهرجان السفير الدولي السادس

شخوص المسرحية :

- **مسلم ابن عقيل.**
- **بكير ابن حمران.**
- **طوعه... امرأة في الخمسين...**
- **مجموعة رجال بملابس عسكرية مدججة بالسلاح.**
- **الصوت الأول.**
- **الصوت الثاني.**

المشهد الأول

بيئة العرض (ظلام دامس... بصيص ضوء في منتصف المسرح... أتربة ودخان وصراخ وعويل... موسيقى صاخبة مرعبة... عواء لكلاب بعيدة... ينساب الضوء رويداً رويداً.. تنكشف منصة المسرح عن بقايا معركة طاحنة بالسيوف والخناجر والدروع وأشلاء مقطعة...)

الصوت الأول (بفزع): ها.. ها... أظنها قد انتهت.

الصوت الثاني: كيف عرفت؟

الصوت الأول: من هذا الهدوء المميت.

الصوت الثاني (يضحك بسخرية): أنت واهم يا صديقي

الصوت الأول: واهم... معقولة؟؟؟

الصوت الثاني: نعم واهم وبجدارة.

الصوت الأول: وما أدراك أيها الذكي؟

الصوت الثاني: نعم ان المعركة تنتهي... لكن تداعياتها ستبقى.. نعم ستبقى.

الصوت الأول: وما أدراك أنت... المعركة انتهت والرجل قُبض عليه.

الصوت الثاني: وهنا المشكلة... الرجل قُبض عليه.

الصوت الأول: وأين هي المشكلة اذاً؟
الصوت الثاني: وتعلم من هو الرجل المقبوض عليه؟
الصوت الأول: نعم أدرى واعرفه حق المعرفة.
الصوت الثاني: لا لا... فأنت لا تعرفه... ان كنت تعرفه حقا ما سألتني هذا السؤال
الصوت الأول: وليس المقبوض عليه (يصمت)
الصوت الثاني: نعم نعم هو بعينه.
الصوت الأول: آه... آه...
الصوت الثاني: أحزين أنت؟
الصوت الأول: لا لا بل أنا مقتول من الوريد إلى الوريد.
الصوت الثاني: ما نفع قتلك الان... هذه ترهات يا صديقي... أنك الآن حي ترزق...
الصوت الأول (يصرخ): لا تستخف بمشاعري.
الصوت الثاني (يضحك): أو لديكم مشاعر يا أهل الكوفة؟؟؟
الصوت الأول: السيف أقوى منا يا أخي... الموت أقوى من قلوبنا... الموت... الموت...
(يضاء المسرح على منظر بناية خارجية... بناية يظهر فيها جدارها الخارجي فقط في أعلى البناية... جنود موزعين على السطح... درج

يـؤدي إلـى الأعلـى... ضـجة كبيـرة... رجـال تركض بيدها سيوفها تقطر دما... الجو العام في المشـهد يـوحي بحـدث كبيـر... تـدخل (طوعـه) بيـدها قـدح للمـاء وتحمـل فـي يـدها الأخـرى قميص مضـرج بالـدم... تقـف وسـط المسـرح... تمسح بوجهها... يتلون جزء من وجهها بالدم... مذهولة هذه المرأة)

طوعه: من منكم شاهد القمر قبل قليل... وهـو يسـافر في كبـد السـماء؟؟؟ مـن مـنكم تـنفس أريـج الجنـة ورائحة.

الطفولـة وعبـق الصـباح؟؟؟ مـن مـنكم جـالس النبـي قبـل قليل وقبل يديه، وحدق في عينيه من.. من؟؟؟

(تلف بحركة دائرية داخل المسرح مذهولة)

طوعه: يا أيها الآتون على خيولكم فجرا... تبحثون عـن الق مهاجر... وعـن مليون ثائرة وثائر... يـا أيهـا الراكبـون خيـولكم عنـوة لا تقتربـوا مـن الشـمس لأنهـا أكبـر مـن عيـونكم الخرسـاء المليئـة بـالقيح والمرارة والحسد، أنتم (تشير إلى الجمهور) أنتم هـل مـر مـن أمـامكم رجـل مـلء الـدنيا بالمحبـة والبطولـة والسـلام نعـم السـلام، دينـه سـلام...

كلامه سلام لا لا لم يمر على عجالة بل مر كفراشة (بحزن ودموع) ما رفع عينه بعين أحد قط الا للحق... ما عاتبني لمرة واحدة، ذات يوم طرق بابي، حنيت بابي للان بختم يديه... طرق بابي لم اعرف من هو... حتى مددت عنقي لم يستجديني عرفت من صوته ان ليس من هذا العالم نعم انه ليس من هذا العالم والا كيف تفسرون ذاك النور البهي وهو يتدفق من عينيه وماذا تريد يا ولدي... ضل صامتاً... الكبار مثل النخل لا يطلبون، العظماء مثل التاريخ لا يبكون من أنت وما تريد أيها الفارس الشجاع؟ ها... ها... ماء... آه... مكتوب على جباهكم تعطون الماء ولا تشربوه... عجيب أمر هذه الناس... تمنع الماء عن أناس خلق الماء من أجلهم... لكنه الصورة الأولى... لمأساة الماء... نعم الصورة الأولى... من هنا (تخاطب الجمهور) أيها السادة تبدأ الحكاية إنها تبدأ بالماء وتنتهي بالماء...

(تعاود حركة الفرسان وهم مدججون بالسيوف مع موسيقى مناسبة، تركض طوعه خلفهم بينهم تفتش في وجوههم)

طوعه: أخذوه نعم أخذوه رأيتهم يقتادون جبلا... لكنها العجب كيف لهؤلاء الأقزام ان يقتادوا جبلا كيف؟ اعتقد ان كرمه الكبير جعله يشفق عليهم...

(يدخل بعصبية بكير ابن حمران مدجج هو الأخر بالسلاح)

بكير ابن حمران: من هذه المرأة؟ من أنت من؟

طوعه: أنا كتلة من لحم فارغ... جسد خرب سيأوي إلى القبر قريباً... أنا جرحكم الذي لا يندمل.

بكير ابن حمران (ينظر لرجل قريب منه): أنت... أنت... من تكون هذه المرأة الخرقاء.

الرجل: أنها طوعه... الا تعرفها؟

بكير ابن حمران: ومن هي طوعه؟ هذه

طوعه: أتستخف بي أيها الملعون؟

بكير ابن حمران: أبعدوها من هنا حالاً... إنها نذير شؤم... (يدفعها) ابتعدي عن وجهي.

طوعه: أتستبسلون على النساء؟؟؟ يا أهل الكوفة؟؟ يا أهل الكوفة أين حميتكم أين؟

بكير ابن حمران: وما شأن الكوفة بك أيتها المرأة الشؤم؟ اغربي عن الطريق.

(أصوات طرق للطبول وركض خيول... الأضواء تضاء بطريقة غريبة غير متجانسة... أصوات تنادي: سيأتون بمسلم ابن عقيل... تتكرر هذه الأصوات... طوعه تتلوى في مكانها يغادرها بكير ابن حمران وهو يسل سيفه عاليا... تضل وحيدة في بقعة ضوء حمراء... تكشف عن هامتها نحو السماء...)

طوعه: أين سيأخذونك يا ولدي؟؟ أين؟؟؟ إلى أي زاوية من زوايا القهر والرماد والرعب أين؟؟؟ خذ ما تبقى من عمري قصيدة أو درع أو أي شيء... تنفس من جسدي شهيق نفسك العذبة المتعبة... (موسيقى مناسبة...)

إظلام

المشهد الثاني

(نفس المنظر السابق الذي كانت به طوعه... المسرح مضاء بالأحمر... موسيقى تمهد لقدوم شيء ما... حركة غير طبيعية للجنود وهم يتحركون بخوف وخشيه... يدخل مسلم ابن عقيل مكبلا... وعليه أثار التعذيب... ينظر نحو الجنود دون مبالاة... يتوسط المسرح...)

طوعه: ها... ها... ولدي أين سترحل أيها المسكين... أين سيأخذونك؟؟؟

مسلم ابن عقيل: بل أين سيذهبون هم؟؟؟ أنا اعرف مكاني... لكن.

(يدفعه أحد الحرس المكلف به)

طوعه (للحرس): ويحكم أيها المجانين.. هل تعلمون من هذا؟؟؟ ويحكم أين ضمائركم؟ أين المروءة؟؟ أهكذا يُساق مسلم؟

(يدخل إلى المسرح بكير ابن حمران.. شاهرا سيفه... مرعوبا... يرمي بطوعة أرضا... تقع تحت أقدام مسلم... ينهضها من الأرض... تشم ملابسه... تقبل يديه...)

طوعه: الله أنها فرصة عمري... ان أشم ثيابك يا ولدي... الله أنها فرصتي عمري ان اقبل يداك.

بكير ابن حمران (لطوعه): أنت أيضا، من أي سماء تنزيل؟؟ من أي زاوية مهجورة تظهرين أنت؟؟ أُغربي عن وجهي لا أريد ان أراك هنا أتفهمين... أتفهمين.

مسلم ابن عقيل: امن الشجاعة ان تستبسلون على النساءِ؟ يا ويحكم، أرخوا وثاقي قليلا وسترون... لكنكم لا تجرؤن، من أي طينة أنتم؟؟...

بكير ابن حمران (يدفعهُ باتجاه السُلّم): هيا اصعدْ... اصعدْ... عمرك مرهون الآن بهذه السلالم... (يضحك) عمرك عبارة عن عدد مكتوب فوق هذه الأحجار الخرساء.

مسلم ابن عقيل: لو كان عمري بهذه الصورة التي تتصورها فأنت واهم... ان عمري فصّلتهُ ليكون بحجم حُب الحسين عليه السلام... فكرا... وكبرياء... اطلّ برأسك نحو الشمس سترى عمري خارطةٌ تجتاح المدى عطراً وتضحية.

بكير ابن حمران (يقرأ هذه الأبيات):

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ

بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ...
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا
وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ[1]...

مسلم ابن عقيل (يرد عليه شعرا):

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه...
فكل رداء يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها...
فليس إلى حسن الثناء سبيلُ[2].

طوعه (تنظر حول مسلم): دعوني أطوف حوله... ان به رائحة من تلك الرائحة التي اعشقها... ذاك العطر البهي ذاك اللون الذي ملء عيوني منذ الطفولة... دعيني أيتها الثياب اللعينة... أريد ان أضمه نحوي (تبكي بحرقة).

بكير ابن حمران: أيها القوم... نحوا هذه المرأة الخرقاء... اغربي عن وجهي...

مسلم ابن عقيل: أيتها المرأة المسكينة... تنحي فأن لي معهم وقفة أخرى...

---

(١) أبيات من قصيدة الشاعر زهير ابن أبي سلمى.

(٢) أبيات من قصيدة الشاعر السموأل بن عاد ياء.

(الأصوات تتعالى... موسيقى... غبار ودخان... يسود الهدوء قليلا...)

بكير ابن حمران (بغضب): اصعدْ... نحو الأعلى.

طوعه: ماذا ستفعلون بالقمر؟؟؟ ها... ماذا؟ (بصوت عال) أيها المارقون...

(يلتف الحرس وبكير ابن حمران معهم نحو مسلم ابن عقيل... بطريقة دائرية... الأصوات تتعالى... يقف الجميع عن الدوران فجأة... الدخان يملأ المكان باللون الأحمر... مسلم ابن عقيل بينهم واقف بهامة مرفوعة... ينثر من بين يديه شيء كأنه عطر... يتغير لون الدخان... تنزل من فوق المسرح ثياب مسلوبة... ممزقة... يخرج مسلم ابن عقيل من دائرتهم... يمسك بهذه الثياب... يشمها يضمها بين يديه نحو صدره...)

مسلم ابن عقيل (يقف على أول السلم): العمر أيها الراكضون إليه يمتد قضية... بين الصدق والبطولة والوفاء، العمر أيها الثكلى بعاركم... يصرخ كطفل ملدوغ... من منكم أيها النائمون بخوفكم سيصحو غداً... أُريد ماءاً...

بكير ابن حمران (يقترب من مسلم): ماذا... أتريدُ ماءاً؟؟؟
مسلم ابن عقيل: نعم أريد ماء... وأمهلوني كي أصلي...
بكير ابن حمران: سنعطيك الماء
مسلم ابن عقيل (يمسك بإناء الماء... يبكي): عذرا أيها العطش المُر... عذرا... عذرا فدمائي غسلت ذاك الماء، مكتوب علينا ان نرمي بالماء والدم نحو الشمس نحو السماء... العطش لا توقيت له الا الآن... فأنه بتوقيت الكوفة. العطش لا ينتظر أحدا... لا يرحم أحدا... (يصرخ) الكوفة... أيتها المدينة المسكينة... يا رمحُ اللهِ في الأرض وجمجمة العرب... ضاق عليّ فضائك... ضاق عليّ هواؤك.
بكير ابن حمران: وتبك يا مسلم؟
مسلم ابن عقيل: نعم ابكي على الحسين... من سيخبره بما حصل لي... من؟؟؟؟
بكير ابن حمران: أراك يا مسلم أطلت الوقوف على السلالم تلك... أتخشى الموت؟
مسلم ابن عقيل: لا والله... لا أخشى الموت... (يقرأ الآية التالية) بسم الله الرحمن الرحيم.. (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ لَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ

يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ وَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ[1]... صدق الله العظيم).

(يصعدون بمسلم ابن عقيل نحو الأعلى... موسيقى... يفلت مسلم ابن عقيل من بين أيديهم... ينزل إلى طوعه... ينهضها من الأرض...)

طوعه: تعال معي أيها الفارس الشهم... تعال... (تمشي أمامه) تعال معي هناك حيث لا شيء سوى الحسين وأهل بيته تعال... لا تخشى شيء...

(الحرس يطوقه مرة أخرى)

مسلم ابن عقيل (من بين الحرس): يا عمتي... أخبري ولدي ان يستعجلوا الذهاب إلى أبي عبد الله... أخبريهم بذلك أخبريهم إنني أحبهم بقدر حبي للحسين...

(طوعه تأخذ شيئا من ملابسه وتركض خارج المسرح... موسيقى... وأصوات متداخلة... يصعدون به نحو السلام ظلام يلف المسرح... وضوء خافت نحو السلالم...)

---

(١) القران الكريم/ آل عمران ١٤٥.

الصوت الأول: الم اقل لك إنها انتهت...

الصوت الثاني: ولكن...

الصوت الأول: نعم انتهت... وبقينا نحن... نحن نعيش زمن العطش والقبح.

الصوت الثاني: العطش...

الصوت الأول: نعم العطش أيها المسكين... نحن الآن في زمن العطش... العطش.

الصوت الثاني: وما العمل الآن؟؟؟

الصوت الأول: سنعيش فيه مرغمين... شأنا أم أبينا.

أصوات من خارج المسرح: العطش... العطش... العطش...

(موسيقى مناسبة وألوان متداخلة...)

إظلام

(ستارة)

مسرحية

طاعُون

(في ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام)

شخوص المسرحية :

- **الراوي.**
- **عبد الرحمن ابن ملجم المرادي.**
- **قطام بنت شجنه.. خطيبة ابن ملجم.**
- **شبيب بن بجرة الأشجعي... صديق ابن ملجم.**

المشهد الأول

بيئة العرض (المسرح مظلم... ضوء وحيد ساقط باتجاه الراوي)

الراوي: السر في التأريخ الأعرج، التأريخ الموبوء، المملوء حقداً حد التخمة، السر في ان الخوف من كشف الحقيقة يزعج، بل في بعض الأحيان يدعوك ان تصمت، لكن التأريخ في موضع أخر يفضح زيف من يكتبه، يقول التأريخ ان الإمام علي عليه السلام هو الإمام الأول للشيعة والخليفة الرابع عند عامة المسلمين إضافة لكونه صهر الرسول وكاتب وحيه، وقد ثبت التاريخ عشرات المواقف البطولية والمهمة لهذه الشخصية البارزة. وكانت آخر وقعة خاضها الإمام علي هي معركة النهروان، حيث جابه فيها مجموعة من أنصاره الذين فرضوا التحكيم عليه في حرب صفين آنفاً، لكنهم ندموا بعدة أيام، فنكثوا عهدهم وخرجوا من بيعة الإمام، وقد عُرفوا هؤلاء فيما بعد باسم الخوارج أو المارقين، فانتصر عليهم الإمام، وكان يتهيأ لقتال

المتمردين في الشام -بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء بين الحَكَمَين- بيد أنه في صبيحة اليوم التاسع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة عند صلاة الفجر، قام عبد الرحمن ابن ملجم -وهو من الخوارج- بشجّ رأس الإمام في مسجد الكوفة، وذلك بعد حوالي خمسة أعوام من الحُكم.

(يدخل عبد الرحمن ابن ملجم مخاطبا الراوي)

عبد الرحمن: مهلا... مهلا، ليس ملزما ان تُفصّل الأحداث مثلما تريد أنت أو مثلما يشتهي الأخرون.

الراوي: التأريخ قال كلمته.

عبد الرحمن: أنا لا اطلب من التأريخ ان يقول كلمته، لكن...

الراوي (يقاطعه): إذا ما الذي تطلبه؟

عبد الرحمن: الأحداث وثيقة الصدق.

الراوي: وأين أنت من الصدق؟

عبد الرحمن: لا تطلق أحكامك جزافاً، دعنا نبحر في سفر التأريخ، أولست أنت من تقول عند

دخولـك المسـرح مـن ان الخـوف مـن كشـف الحقيقة يزعج؟، وان التأريخ موبوء؟

الراوي: وأنتم من خدع التأريخ.

عبد الرحمن: التأريخ سجل الأمس.

الراوي: وأنتم ذاك الأمس الأعرج.

عبد الرحمن: دعنا نقلب وجه التأريخ.

الراوي: ونمر على الضحايا.

عبد الرحمن: لابد من ذلك، كي نعبر هذا اللغط.

الراوي: وتسمي خروجكم عن مِلّتكم لغطاً؟

عبد الرحمن: الحقيقة تجرح دائماً.

الراوي: والواقع يكشف ما كان مستور.

عبد الرحمن: لنغادر هذا التيه ونبدأ في كشف المستور.

الراوي: لا تجرأ.

عبد الرحمن: لنحاول مرة أخرى.

الراوي: هذا الليل مظلوم.

عبد الرحمن: والنهار لا يخدع.

الراوي: تطلب مني ان نبدأ... (يسأله) ومن أين نبدأ.

عبد الرحمن: من نار الأمس.

الراوي: من تلك العورة التي غطت وجه التأريخ.

عبد الرحمن: من منا لا يخطأ.

الراوي: لكن حياتك أيها الشقي ضاعت في عار التأريخ.
عبد الرحمن (يسأل): أو للتأريخ عار؟
الراوي: وأنت من دخل في سجل التأريخ من أوسع عاره...
عبد الرحمن: كنا نريد لعلي ان يصالح معاوية على تحكيم القرآن.
الراوي: كان القرآن مع علي.
عبد الرحمن: كنا نريد الصلح.
الراوي: وعلي كان يرد العدالة.
عبد الرحمن: كنا نريد العهد.
الراوي: لكنهم نكثوا العهد.
عبد الرحمن: لقد خُدعنا.
الراوي: وبشر بذلك علي.
عبد الرحمن: وطلبنا منه معاودة الحرب.
الراوي: والناس بين أيديكم لعبة.
عبد الرحمن: أنت لا تفهم... بل لا تريد ان تفهم.
الراوي: أفهمُ ماذا؟
عبد الرحمن: كان عليٌّ عنيد.
الراوي: كان علّيّ محبة.
عبد الرحمن: وكان شديد.

الراوي: وكان عدالة.
عبد الرحمن: وكان... وكان (بقلق)... وكان... مخيف.
الراوي: للخارجين عن الحق.
عبد الرحمن: الكوفة الأمس ليست ككوفتكم الآن.
الراوي: الكوفة نفس الكوفة... والقاتلُ نفس القاتلْ.
عبد الرحمن: لا ترجع للتأريخ كثيرا.
الراوي: وكيف نعرف من دنّس الكعبة؟
عبد الرحمن: التأريخ عصي علّ الفهم.
الراوي: بل من يقتل وجه الشمس.
عبد الرحمن: الشمس ها هيه... (يشير إلى اعلى).
الراوي: الروح هي الشمس.
عبد الرحمن (يقرأ هذه الأبيات الشعرية):
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحا
وقتلة قعصه لم يذبح عشرونا
أفناكم قعصا وضربا يفتري بالسيف
حده لم يفصح أعطوه خرجا واتقوا
بمضيعة فعل الذليل وبيعة لم تربح[1].
الراوي (يقرأ هذه الأبيات):
تلكم قريش تمنّاني لتقتلني

(١) من قصيدة أسيد بن أبي إياس.

فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فإن بقيت فرهن ذمّتي لهم
بذات روقين لا يعفوا لها أثر[1]

(المسرح مظلم الا ضوء بسيط فوق عبد الرحمن ابن ملجم، تتدلى من فوق المسرح صفيحة للأزبال، تتساقط منها القمامة، تصل إلى الأرض، يحاول ان يهرب منها، لكن هنالك شيء ما يشده إلى داخلها، وبعد صراع قصير، يدخل إلى وسط الصفيحة)

إظلام

(١) من قصيدة للإمام على عليه السلام.

المشهد الثاني

المنظر (أحد أزقة الكوفة القديمة.. باب مفتوح تقف بجانبه قطام وعبد الرحمن ابن ملجم بدى على وجهه بهاق وردي اللون)

قطام (بخوف): الليل ستر للنهب يا ابن ملجم.

عبد الرحمن: دعي عنك الجزع يا قطام.

قطام (تتلفت): الكوفة تعج بمحبيه ومردييه.

عبد الرحمن: حينما يصلي ينسى نفسه.

قطام: أكره فيه ذاك الخشوع.

عبد الرحمن: آه من صلاته وخشوعه آه.

قطام: ما زال الدم يفور في خاصرتي لقتله أبي وأخي في النهروان.

عبد الرحمن: سأنال منه الليلة.

قطام: والناس؟

عبد الرحمن: ينسى كل ما حولهُ، حين يصلي، يذوب جسداً وروحا.

قطام (تناوله خنجرا): خذ هذا الخنجر.

عبد الرحمن: السيف أمضى يا قطام.

قطام: خُذْ، هذا خنجر أبي، دافع به ان احتوشوا الناس وجهك.

عبد الرحمن: لا أدرى ان كنت سأعود.

قطام: ستعود ونتزوج يا ابن ملجم.

عبد الرحمن: على قدر المنايا.

قطام: يكون لجاج الناس وجزعهم.

عبد الرحمن: لا فرار من القدر.

قطام: شد بسيفك وأنت تفوز.

عبد الرحمن: يا قطام هذا علي يا قطام، أو تدرين من هو علي؟

قطام: وأنت ابن ملجم (تمسك بردائه) كن صلباً.

عبد الرحمن: متى اللقاء؟

قطام: عند اليوم الآخر... الفجر الآخر... العمر الآخر.

عبد الرحمن: دعيني اذهب قد حانت الساعة للقاء صاحبي.

قطام: وتنتظر من؟

عبد الرحمن: شبيب الأشجعي، رفيق دربي وصاحبي.

قطام: وتثق به؟

عبد الرحمن: خبرنا الحروب سويةً.

قطام: خذ من الليل سترا... الكوفة لا أمان لها.

(إظلام الا من ضوء على رجلين، ابن ملجم وشبيب)

شبيب (بخوف): الكوفة تغط بالنوم والخونة.

عبد الرحمن (يحكّ يديه ووجهه): والمنافقين.

شبيب: لا عليك يا بن ملجم الليل مطية الشجعان، مالك تهرش في وجهك؟

عبد الرحمن (بقلق): يا شبيب كن بجانبي أخشى ما أخشى.

شبيب (بتردد): دع عنك الخوف يا بن ملجم.

عبد الرحمن: المسجد مليء بالناس (يستمر بحكّ وجهه)

شبيب: وان يكن،

(يسيران بخطوات متقطعة، يلتفتان كثيرا... صوت لصياح الكلاب وصرير الحشرات الليلية)

شبيب: عجل يا رجل... عجل صلاة الفجر أوشكت.

عبد الرحمن: أولا نصلي؟

شبيب (يضحك): هههههههه

عبد الرحمن: وتضحك؟

شبيب: نصلي؟؟ (يستمر يضحك) هههههههه لمن؟ نحن أخر من يعرف الصلاة أيها الشقي.

عبد الرحمن: آه... (يمد يده نحو ثيابه) ثيابي هذه بدأت تضايقني.

شبيب: الزمان هنا بدأ، اليوم وغدا يا ابن ملجم.

عبد الرحمن (يرتعش): ما الذي يجري يا ابن الأشجعي؟ اشعر بالبرد.

شبيب: وتشعر بالقهر (بقلق) اصمت، لا ترفع صوتك.

عبد الرحمن: أرى السماء أطبقت.

شبيب: ما عهدتك جباناً.

عبد الرحمن (يرتعش): الليل يسحب أنفاسي بعيداً يا هذا.

شبيب: كن صلبا.

عبد الرحمن: تعال معي يا بن الأشجعي، تعال.

شبيب: سنكون معاً.

عبد الرحمن (يستل سيفه): يا ويح هذا السيف.

شبيب (بقلق): ضم سيفك الأن أيها المخبول.

عبد الرحمن: ولم؟

شبيب: الناس ستدخل للمسجد بعد قليل.

(صوت الكلاب وصرير الحشرات يعاود، أجواء الفجر باقية، صوت للأذان يرفع بهدوء)

شبيب (يسحب صاحبه): تعال إلى هنا، تعال.

عبد الرحمن (بذهول): أين؟
شبيب (يشير إلى زاوية ما): سندخل إلى هناك،
(الراوي يتدخل بينهم)
شبيب (للراوي): من أنت وما تريد؟
الراوي: أنا التأريخ الذي سينقل الحقيقة، الحقيقة المرة.
عبد الرحمن (للراوي): أنت ثانية، لا تفسد علينا مهمتنا.
الراوي: يا بأسها من مهمة.

شبيب (لعبد الرحمن): أو تعرف الرجل؟
عبد الرحمن: أعرفهُ.
(يهمّان بالمسير وعلى عجل)
الراوي: لما العجلة؟ الجريمة هي الجريمة، والطاعون الذي أصابك نفس الطاعون.
شبيب: دعنا يا رجل، القصة أكبر مما يتحملها تأريخك هذا.
عبد الرحمن (مخاطباً سيفه): الليلة سينطق هذا.
(يهرش في جسده)
الراوي: وتكون أنت في الدرك الأسفل من النار.

شبيب (يهم بدفع الراوي): ابتعد والا شطرتك إلى نصفين.

الراوي: معروفة هي أفعالكم، تشطرون التأريخ والحياة والأمل إلى ما تشتهون.

عبد الرحمن: سبق السيف العدل.

الراوي: سيكون الله شهيد عليكم... سيكون الفجر شهيد.

(عبد الرحمن وشبيب يتركان الراوي مسرعين، أصوات مختلفة وصراخ، قُتل الإمام، قُتل الإمام، الضوء الأحمر يحتل المكان بالكامل، موسيقى مناسبة)

الراوي: ((الحمد لله حق قدره متبعين أمره وأحمده كما أحب، ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب، أيها الناس كل أمرئ لاق في فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عز ذكره إلا إخفائه، هيهات علم مكنون، أما وصيتي فأن لا تشركوا بالله جل ثناؤه شيئا ومحمدا صلى الله عليه واله فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العودين وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم ما لم تشردوا

حمل كل امرئ مجهوده، وخفف عن الجهلة، رب رحيم، وإمام عليم، ودين قويم. أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم، وغدا مفارقكم، إن تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك المراد، وإن تدحض القدم، فإنا كنا في أفياء أغصان وذرى رياح، وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفقها، وعفا في الأرض محطها، وإنما كنت جارا جاوركم بدني أياما وستعقبون مني جثة خلاء [1]))

إظلام

(ســـتارة)

(١) جزء من خطبة الإمام علي قبيل وفاته.

مسرحية
دَفِن

شخوص المسرحية :

- **الأول... رجل.**
- **الثاني... رجل.**
- **أربع رجال ملثمون.**

المشهد الأول

بيئـةُ العـرض: (ليـلٌ... المسـرحُ مفتـوح علـى شواهدٍ لقبورٍ متناثرة هنا وهناك، يبدو إنها مقبرة، لونٌ أسود لقطعةِ قماش تتدلى من الأعلى، بقايا تراب على الأرضِ، قبرٌ جديد محفور أمام تلك القبـور، شـجرة سـدر فـي أحـد الزوايـا، يـدخل مجموعة من الرجال، ملثمون، ملابسهم سوداء، وهـم يحملـون نعشـاً، يقطعـون نصـف المسـرح، يستدارون نحو الجمهور، الطريقة الجنائزية التي يسيرون بها، تصاحبهم خلالها موسيقى، غريبة، حزينـة، أو موسيقى لا يفهـم منهـا شـيء، ينزلـون النعش، ينظرون إليه، يتركونهُ بالقربِ من الحفرةِ وكومة التراب المتروكة مُسبقاً، يغادرون المسرح بـنفس الطريقـةِ الجنائزيـةِ التي دخلـوا فيهـا، نبـاح كلاب... صوت من خارجِ المسرحِ)

الثـاني: إن لـم يَمُـتْ هـذا المسـاء إلـى غـدٍ بعـض الأنـامْ
فابعـث بـه قبـل الظـلام يـا رب أسـبوعٌ طويـل مَـرَّ

كالعـام الطويـل والقبـر خـاوٍ، يفغـر الفـم فـي انتظارٍ... في انتظار[1].

الأول: ومـا تنتظـر يـا صـديقي؟ يـا رفيـق الـدرب المليء بالتراب والكافور.

الثاني: أنتظر من يموت، أولست معي في هذه اللعبة؟

الأول: عن أي لعبة تتحدث يا هذا؟

الثـاني: لعبـة الحيـاة والمـوت، البقـاء والـزوال، الخـروج والدخول، الذهاب والعودة.

الأول: ولم تشغل نفسك بأشياء إن بدت لكم تسوئكم؟

(يـدخل الاثنـان، يحمـلان عـدة الحفـر، ملامـح وجوههم كئيبة)

الثاني: يا هذا نحن نعتاش على هؤلاء (يشير إلى القبور) خبزتنـا علـى دفـنهم، قـوت عيالنـا علـى طمـر جثـثهم، (يضـحك بخبـث) سـهرات الليـالي الحمـراء التـي تعرفهـا وأعرفهـا، مرهونـة بسـتر عورات الموتى تحت التراب.

الأول (وكأنه بدأ يفهم): ها... ها، تقصد.

الثاني (يقاطعه): نعم أقصد أي.... أي اقصـد. (للجمهـور: كم هذا غبي).

---

(١) من قصيدة الشاعر بدر شاكر السياب.

الأول: ماذا قلت؟

الثاني (مستدركاً): لا... لا شيء، كنت أقول الذكاء موهبة، وأنت عنوان عريض له.

الأول: يا صاحبي (يمسكه) عليك ان تكون ذكياً كي تستطيع العيش في هذا العالم.

الثاني (يقترب من الحفرة): أحترم الأذكياء يا صديقي.

الأول: سأقص عليك ما حدث معي الليلة البارحة، حتى تكتشف صاحبك كم كان ذكياً.

الثاني (ينزل عدة الحفر ويبدأ يقلب بعضاً من التراب): أي أتحفنا ببعض قصصك الذكية الخارقة.

الأول: يبدو إنك تستخف بي، لا... لا تستخف بي، لن أتحدث إليك.

الثاني: ولك إحچي، لا تشلع گلبي،

الأول: زوجتي تعرفها طبعاً؟

الثاني: عرفتها من خلال ما تقول عنها، حتى إني تخيلت شكلها المرعب، هذا بناء على ما تقوله أنت.

الأول: المهم، جئتها ليلاً وأنا،

الثاني (بتعجب): وأنت.

الأول: وأنا... وأنا -محتسي- طبعاً، نظرت إلى وجهي طويلاً وكأنها لا تعرفني، بقينا ننظر لبعضنا

البعض، بعدها بدأت تضحك، تضحك، (يقلدها) هههههههه.

الثاني: أي وبعدين.

الأول: وحينما أنهت ضحكتها الحقيرة تلك، بدأ الاحترام.

(يمسك بنهاية قميصه من الأعلى وهو يحني رقبته وكأن أحدهم يسحبه منها)

الثاني: القصة، أين القصة؟ ما الذي حدث؟

الأول: أين وصلنا؟

الثاني: (يمسك بنهاية قميصه من الأعلى وهو يحني رقبته وكأن أحدهم يسحبه منها، يقلد زميله) قمة الاحترام.

الأول: سألتني أين كنت يا (يسكت).

الثاني: يا شنو؟؟؟ نعم أكمل.

الأول: قالت كلمة لا أعرف معناها.

الثاني: وما هي؟

الأول: أرجوك أن تقول لي ما تعني، أرجوك.

الثاني (يمسكه من ذراعه وبعصبية): يا صاحبي، يا أخي، يا أثول، كيف لي أن أعرف معنى الكلمة التي

تفوهت بها أميرتك، وأنت لم تقلها، لم تنطقها، لم تأت بالدرة بعد.

الأول: أنت شبيك مستعجل، الليل طويل، قالت هنيالي.

الثاني: ماذا؟، ماذا (هنيالي)؟ (يضحك)

الأول: تضحك، اذاً مثلما توقعت.

الثاني (مستمر يضحك).

الأول (بتوسل): أتمنى أن تسكت الآن، عرفت معناها، عرفته... يمعوّد أسكت، نحن في مقبرة يا هذا.

الثاني (ما بين الضحك): والله العظيم أنت لا تفهم شيء، الدنيا في نظرك المتواضع عبارة عن سكّر في الليل ودفن الموتى في النهار.

الأول: أنا يا صاحبي، عرفت الدنيا هكذا، الليل لي، والنهار لكم، يداي (يقلبهما) لطالما حفرت بهما الأرض، في البدء كانت للزراعة، شاهدني في يوم ما زائر للأرض التي أعمل فيها وقال لي أنت تصلح لدفن الموتى، ومن ساعتها وأنا معك هنا، وكأنه اكتشف ما في داخلي.

الثاني: اكتشف موهبتك الفتّاكة (يضحك).

الأول: أتمنى لو تسكت قليلاً.

الثاني: صديقي دعك من مواهبك ولنباشر عملنا.

الأول: وأين هو عملنا؟
الثاني: قال لي انه سيأتي ليلاً، وهذه هي المرة الأولى التي ندفن أحدهم ليلاً.
الأول: ولماذا في الليل؟
الثاني: يبدو ان لهذا الميت معنى.
الأول: كل الميتين لهم معاني، تنتهي حالما نهيل عليهم التراب.
الثاني: لا... لا يا صاحبي.. الميتون لهم حرمة، ولهم قدسية ولهم...
الأول (يقاطعه): كل الميتين تنتهي علاقتهم بنا حالما يوارون الثرى، نقطة راس السطر.
الثاني: على كيفك يا فيلسوف زمانك، أقصد إن الميتين يحملون معهم جزء كبير من ذكريات الناس، لذا عند رحيلهم تبكيهم العيون، تفقدهم الروح.
(يجلس على أحد القبور يشعل سيجارة): يا صاحبي أنا مثلك لا أعرف لما يريدنا الرجل أن ندفن ميتهم ليلاً.
الأول: أخاف ان تكون الشغلة بيها أنّ.
الثاني: مذ عرفتك وأنت تعيش نظرية المؤامرة.
الأول (يسأل بتعجب): شنو؟؟ نظرية المؤامرة؟!!

الثاني: اووو تعال اشرح للذكي.

الأول: لا صدك والله، هذه العبارة أسمعها دائماً، حتى أن أميرتي قالت لي يوماً: أنت وهذه الدنيا تتآمرون عليّ.

الثاني: أميرتك يبدو إنها تفتهم.

الأول (يقاطعه): أرجوك لا تقلها، فأنا...

الثاني (يقاطعه): اسمع يا صاحبي، دون أن نتجادل، علينا أن نفكر لماذا يريد منا دفن الميت ليلاً؟ فكّر معي، أرجوك.

الأول: هل تعتقد إن الميت مقتولاً؟

الثاني (بعصبية): متى ستشغّل رأسك هذا المليء بـ أستغفر الله العظيم.

الأول (يرفع صوته قليلاً): كل الموتى ندفنهم في النهار، في أول النهار، الدفن في الليل مكروه، لماذا هذه المرة؟

الثاني (يدخن بعصبية): دفن الموتى ليلًا جائز شرعًا، مع تفضيل النهار على الليل إذا ترتب عليه مصلحة للميت بكثرة المصلين، هل فهمت الآن؟

الأول: طيب، أين هم المصلون؟

الثاني (بغضب): الله يصبّرج يا روح، وتريد من المصلين أن يكونوا معنا ها هنا؟ هنا.. (يصرخ) هنا.

الأول (بهدوء): اهدأ... اهدأ اسمع يبدو أن أحدهم قادم.

الثاني (يطفأ سيجارته ويدوس عليها بعصبيه): أين؟

(يفترقان وسط المسرح وكأنها يبحثان في الظلام عن شيء، صوت نباح الكلاب يتصاعد، بقعة ضوء تنساب فوق الجثة المتروكة بزاوية ما، صوت الريح والرعد وقطرات المطر تبدأ وكأنها تعلن أن عاصفة في الطريق إلى هذا المكان، الرجل الأول والثاني، يصطدمان ببعضهما من شدة الظلام الحالك والخوف، خيط من الضوء فوقهما)

الثاني (بألم): إشبيك؟ ما إتشوف، أعمى وتضل أعمى.

الأول (يسمك رأسه): لم أرك جيداً، هذه الليلة تبدو لا تشبه أي ليلة، فمنذ بدايتها كانت هوسه.

الثاني (بخوف): اسمع نباح الكلاب عاود من جديد.

(صوت للرعد يهز المكان)

(الأول بخوف كبير يركض نحو أحد القبور يختفي خلفه يتبعه الثاني)

الثاني (من خلف القبر يطلّ برأسه): سبحان الله، نحتمي بالموتى، ونحن الأحياء. بل في بعض الأحيان نعتاش على ماضيهم، تأريخهم، أوجاعهم.

الأول: رواتبهم (يضحك) أمي إلى الآن تعتاش من تقاعد أبي.

الثاني: من صوت الرعد نخاف، من وخزة إبرة نرتعد، من غدر الإنسان نخشى، وتحمينا اليوم قبور الموتى.

الأول: لهذا أنا تركت حرث الأرض وجئت أحفر باطنها وأزرع بداخلها جثة إنسان.

(صوت الرعد يتكرر، وصوت المطر كأنه يبدأ بالهطول، الأضواء تتكسر بين الجثة المتروكة والرجلان، صوت من خارج المسرح)

إن لم يَمُتْ -هذا المساء إلى غدٍ- بعض الأنامْ
فابعث به قبل الظلام يا رب أسبوعٌ طويل مَرَّ
كالعام الطويل والقبر خاوٍ، يفغر الفم في
انتظارٍ... في انتظار.

إظلام

المشهد الثاني

(ملثمان بملابسهم الجنائزية، يدخلان مع بقعةِ الضوء التي تُلاحق خطواتهم، يقفان قربَ النعش، يفتحانه، يقومان باستخراج ما بي داخله، وينثرون ما يستخرجون على أرضِ المسرح بلا تركيز، كأنهما يبحثان عن شيءٍ ما، ينثرون أوراقاً ودفاتر، وملابس عسكرية مع نياشينها، لعب أطفال، أشرطة كاسيت قديمة، صور بالأسودِ والأبيضِ، أشياء تدلُ على زمنٍ مرْ، لا يجدون ما يبحثون عنه، يقلبون النعش على الأرض، يحملونه، رؤوسهم إلى داخل النعش، يغادرون بالطريقة الجنائزية التي دخلوا بها... الريحُ تتواصل بعد خروجهِم، صوتُ الرعدِ يَملأ المكان، تتطاير الأشياء من الأرضِ، ينكشف المسرح رويداً رويدا عن شجرة سدّر الموجودة في إحدى الزوايا، معلق عليها بعض الأقفال، وقطع من القماش خضراء اللون، وبعض ملابس للأطفال، السدّرة وكأنها شاهد على هذه القبور، السدّرة تبدو وكأنها يابسة من جهة ومخضّرة من

جهة أخرى، يتوقف صوت الرعد وتهدأ الرياح الاّ من صوت قطرات مطر خفيفة، يعود حملة النعش يطوفون به وكأنهم عمَيان، يمشون بخطوات غير متزنة، يرمون النعش على الأرض ويهربون، صوت لطفل يضحك، يضحك، يملأ المكان بالضحك، يتراجع صوت الطفل عن الضحك، ترتفع الأشياء التي رموها الملثمين إلى أعلى، وكأنما عُلقت على حبلِ قطعةٍ، قطعة، صوت لأغنية تراثية تعزف على نغمات العود- چي مالي والي بويه إنعيمه[1]-)

إظلام

(١) أغنية من التراث العراقي.

المشهد الثالث

(المقبرة والرجلان، يقفان بالقرب من كومة تراب، وكأنها قبر مفتوح، يبدو إنهما تبللا من المطر)

الثاني: المطر خير ان شاء الله خير.

الأول: لكن ملابسنا تبللت.

الثاني (بلغة شعرية): وليكن يا صاحبي، أنت لا تدري إن الشّعر يأتي دائما مع المطر، والحب لا يبدأ إلا عندما تبدأ موسيقى المطر[1].

الأول (بتعجب): ها صديقي، المطر! الحب، الموسيقى! شنو الموضوع؟

الثاني: تضل يابساً، بلا مشاعر، بلا أحاسيس، مقطوع من نخلة يابسة ميتة.

الأول: أنا لا أعرف شيئاً الا الحفر والدفن، مشاعري تجمدت في علب صدئة، غادرني الحب واللهفة حتى نسيتهما، ضاعت مني كلمات المحبة والوله والعشق.

---

(١) من قصيدة الشاعر نزار القباني.

الثاني: لا يهم، المحبة تسترد يا صديقي، المشاعر تعود مرة أخرى.

الأول (يطلب من صديقه سيجارة يشعلها يدخنان معاً): المحبة قيمة نحتفظ بها، وحينما تضيع لا نجدها، والمشاعر كذلك.

الثاني: لا تبتأس، كن متفائلاً، هذا الليل يسمعنا، انه شاهد على أحلامنا، همومنا، أوجاعنا.

الأول: لنكون صادقين لمرة واحدة فقط، قضينا هذا العمر بالحروب المزاجية، والجوع والحرمان.

الثاني: القادم أفضل.

الأول: لا أرى ما يلوح في الأفق.

(الثاني يترك صديقه ويتحرك إلى وسط المسرح)

الثاني: ما رأيك أن نلعب لعبة.

الأول (يسأل): نلعب، هاي شبيك؟

الثاني: الليل طويل، وكيف ينتهي؟

الأول: وصاحبنا الذي سيأتي؟

الثاني: يبدو إن العاصفة أخرته، لنلعب لعبة علّنا ننهي هذا الجزع في داخلنا.

الأول (يسأل): وما هي لعبتك؟

الثاني: ادفن وتغاضى.

الأول: ماذا، ماذا؟

الثاني (بصوت مرتفع قليلاً): ادفن وتغاضى.

الأول: أول مـرة أسـمع بهـذه اللعبـة (يرددهـا) ادفـن وتغاضى.

الثاني: نعم ادفن وتغاضى.

الأول: حتى ألعابنا تبدأ بالدفن وتنتهي بالدفن... ادفن وتغاضى.

الثاني: ادفن وتغاضى، لا تستغرب يا صديقي، أنها لعبة أنا اكتشفتها.

الأول (يتساءل): أنت؟ مكتشف للألعاب؟

الثاني (بفخر): لا تستعجب، المستكشفون مثلي.

الأول (يقاطعه): المستكشفون مثلك؟ وأنت شنو اللي اكتشفته؟

الثاني(بزهو): الرائعون مثلي.

الأول (مقاطعاً أيضاً): يمعّود لا تسخن علينا، لكن هيا دعنا نلعب.

الثاني (بتكبر): المبدعون مثلي

الأول (يصرخ به): خلَصنا يا رجل.

الثاني: اللعبة تبدأ بحفرِ حفرةٍ عميقة، عميقة جداً، تشبه ذاك القبر المحفور (يشير إلى القبر) وأعمق.

الأول: نعم، ومن ثم؟
الثاني: لا تقاطعني رجاءً.
الأول: أرجوك يا صديقي أنت تعرف هذه اللعبة ام ماذا؟
الثاني: أنا مخترعها، اسمع (يقترب من صديقه يأخذه جانباً قرب الحفرة وكوم التراب) اللعبة تبدأ بأن نتعاهد.
الأول (يسأل): نتعاهد؟ على ماذا؟
الثاني: حلوو سؤالك جميل، أحترمك وأنت تفتهم.
الأول: شكراً، أكمل رحمة لوالديك.
الثاني: أوالديك، اسمع، نتعاهد على أن نكون صادقين في كلما ما سندفنه في هذه الحفرة ولا نشعر بالندم عليه مطلقاً.
الأول (باستخفاف): إي.
الثاني (منزعجاً): اللعبة لا تنجح مطلقاً.
الأول: ولماذا؟
الثاني: لأنك تستخف باللعبة منذ البداية، أحد أهم شروطها هي عدم الاستخفاف، لا تستخف، لا تندم، لا تتألم، لا تحزن، لا تتردد، وهناك شرط مهم في هذه اللعبة.
الأول: وشرط أيضاً؟

الثاني: نعم شرط، هل سمعت عن لعبة بلا شروط.

الأول: شرط وشروط، وبعد؟

الثاني (يمسكه من كتفه وكأنه يحذره): اسمع، إذا وافقت على أن تلعب هذه اللعبة، أنت وحدك من يتحمل نتائجها.

الأول: عمي هاي شنو من لعبة؟

الثاني: مثلما أقول لك، فكّر قبل أن توافق، الخسارة مُرّة، والوجع أمر.

(الأول يبتعد عن صديقه بضعة أمتار، مع نفسه)

الأول: ما هذه اللعبة العقيمة؟ أخاف أن... أن ماذا؟ ما الذي تخسره يا حافي، ثم إنها مجرد لعبة.

الثاني (ينادي): ها،

الأول (بينه وبين نفسه): أوجعاه.

الثاني (يتساءل): ماذا قلت؟ تلعب؟

الأول: وأنت هل ستتعاقب مثلي؟

الثاني: أكيد، بيني وبينك هذه أول مرة ألعبها.

الأول: هلوو وأتريد إتجربها براسي؟

الثاني: نحن في الهوى سوى يا صاحبي، همومنا واحدة، وأوجاعنا واحدة.

الأول: المهم هذه اللعبة بيه خير؟

الثاني: أسمع يا صديقي، اللعبة تبدأ بأن نستدعي نحن الاثنين أشياء، أحداث، تفاصيل، أشخاص، ونرميها في الحفرة، شرط اللعبة كما قلت لك نتحمله نحن فقط، والعقوبة جماعية أيضاً.

الأول: عقوبة؟

الثاني: قد تكون معنوية وقد لا تكون، المهم.

الأول: وقد تكون؟ هل نبدأ؟ أم لديك شيء آخر؟

الثاني: لا تستعجل فالليل طويل، وصاحبنا تأخر، اسمع يا صاحبي مصيرنا نحن الاثنين مشترك، لا تهتم.

الأول: والله بديت أخاف، ما هذه اللعبة التي فيها حروف الجر، وحروف الشرط.

الثاني (بحنّية): لا تستعجل على رزقك يا أخي، كل ما هنالك هي لعبة، في النهاية هي لعبة.

الأول (وهو يعضُّ على شفتيه): هسه غير إيفضها.

الثاني: اسمع كما أخبرتك اللعبة تبدأ بأن نرمي في تلك الحفرة (يشير إلى القبر المحفور) كلما نفكر به، مثلما أنت تفكر بشيء وتتمنى ألاّ تراه ثانيةً، سهله مو؟

الأول: ما فتهمت.

(الثاني يمسكه من يده يأخذه جانباً)

الثاني: طبعاً ما تفتهم إذا أنت، أستغفر الله، تعال يمي، شوف، أنت تتمنى أن تِمسح من ذاكرتك أشياء قبيحة، أو مؤلمة؟

الأول: إي، أتمنى، وما دخل الحفرة باللعبة وبالذاكرة والقبح والألم؟

الثاني: حاول أن تركز معي، اللعبة ببساطة سنقوم أنا وأنت بتمني أشياء نكرهها، أو أشياء مرت بنا، كنا نتمنى ألاّ نراها، ومن ثمّ نرميها في الحفرة، بس، خلاص، هذه هي اللعبة، فتهمت؟ إذا رمينا من ذاكرتنا الأشياء المؤلمة، الحزينة، القبيحة، الأشياء ممكن أن تكون أشخاص، حوادث، ذكريات، حاول أن تُركز معي، مو كل ساعة نعيد؟

الأول: لكن يا صاحبي هذه الحفرة ستضم القبيح والجميل، الحزن والفرح، السياسي الشريف، والفاسد؟

الثاني: مثل الحياة، الا تَضمُ كل شيء؟

الأول: أههها، واضح، (يفكر) أشخاص، حوادث، مثل الحياة، (يسأل) ومَنْ يبدأ الأول؟

الثاني: لا يهم، اللعبة تعتمد على الاثنين، شَرطُ اللعبة الأساسي أن نفكر معاً.

الأول: الحفرة عميقه؟

الثاني: أنت حفرتها بيديك.

الأول: نعم، نعم، لكنها تحتاج إلى عمق أكثر، فهمومنا كُثْر.

الثاني: نعمقها بعد أن نلعب.

الأول: من ناحية الأشخاص فأنا أريد أن أدفن أميرتي هههههههه.

الثاني (يضحك): لا، لا إنها أم عيالك يا رجل، لكن لنتفق على إنها امرأة، فمن تكون؟

الأول: امرأة قبحت وجه التأريخ بفعلتها.

الثاني: سياسية فاسدة.

الأول: بوق للسلطات أينما تَحلْ.

الثاني: تتكلم عن النزاهة وهي غارقة بالسرقات حد العظم.

الأول: عرفتها (يريد أن ينطق اسمها)

الثاني (يقاطعه): لا لا بدون أن نذكر الأسماء.

الأول: لكن لما لا نذكر اسمها؟ على الأقل كي يعرفها الناس.

الثاني: ليس بالضرورة يا صديقي، كل مَنْ تنطبق عليها صفات المرأة المذكورة هنا سيعرفها حتماً.

الأول: إذن، نرميها؟

الثاني: نرميها.

ينطقان بصوت مرتفع قليلاً: (إلى عدالة الله)

الأول: الدور لك الآن.

الثاني: لا تلتزم بالأدوار، ليس المهم من يبدأ كم مرة أقولها لك، لكن مع هذا سأطلب أنا (يفكر) الحروب.

الأول: مأساة الناس، لعبة السياسيين القذرة.

الثاني: ضياع الشباب، حزن الأمهات، أوجاع الآباء.

الأول: اليُتمْ.

الثاني: كل من كان سبباً في دمار الدنيا.

ينطقان بصوت مرتفع قليلاً: (إلى عذاب الله)

الأول: من يستحق أن يكون في الحفرة؟ من يستحق؟ التجار الجشعون.

الثاني: أكلوا من لحم الفقراء.

الأول: شربوا من دم أطفالهم.

الثاني: سحقوا بأسعارهم صدور الأمهات.

الأول: أذلّوا الرجال.

ينطقان بصوت مرتفع قليلاً: (إلى جحيم الله)

الثاني: المزورون، مَنْ زَورَ التأريخ.

الأول (بخبث): الانتخابات، الشهادات.

الثاني (بحماس): حقوق الناس.

الأول: أملاك الغير.

الثاني: شهادة الحق والباطل.

ينطقان بصوت مرتفع قليلاً: (إلى ذِل الله)

الأول: أعتقد يا صديقي إن الحفرة لا تتسع بعد.

الثاني: لا لا تستع إن مَنْ نرميه في الحفرة إن كان باطلاً سيحترق ويذوب.

الأول (يسأل): وان كان على حق؟

الثاني: مَنْ كان على حق سينهض من صميم اليأس جيلٌ مريدُ البأسِ جبارٌ عنيد[1].

الأول (بقلق): اسمع، اسمع يبدو إن هناك زائر.

الثاني: أين، أين؟ لا أرى شيء، لا أسمع شيء.

(الملثمان يدخلان إلى المسرح، يفتشان عن شيء بين ركام التراب وينظران إلى الحفرة، ويغادران)

الأول: هل رأيتهم؟

---

(١) من قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري.

الثاني: نعم، لكنهم لم يرونا، عجيب.

الأول: دعهم عنك الآن، ولنعود إلى اللعبة، تبدو مسلية جداً.

الثاني: وهذا هو المطلوب، أنا سأختار إلى الحفرة رجل.

الأول (بتعجب): رجل!

الثاني: نعم رجل، رجل يحتكم على جماعة، مزق نسيج الأمة، يتلذذ بعذاب الشعب، يجتهد كثيراً بزرع الفتنة، ينام على أنين المحرومين، ما أن استلم السطلة حتى باع الوطن، شَرّد شعبه، حتى كأنك تجدهم في كل وادٍ يهيمون.

الأول: رجل كان سبباً في شنق أبي على أعواد الشهادة.

ينطقان بصوت مرتفع قليلاً: (إلى خزّي الله)

الثاني: تعال نفتش عن مَنْ يستحق أن نرميه في تلك الحفرة.

الأول: وما أكثرهم يا صاحبي، لكن هنالك سؤال ضل عالقاً في ذاكرتي.

الثاني: اسأل، أحسك بدأت تفهم.

الأول: وشتقصد؟

الثاني: لا اقصد شيء أنت بدأت تستجيب بسرعة، تعرف بسرعة، تتناغم معي سريعاً.

الأول: مع إني لا أعرف معنى تتناغم، لكن مي خالف.

الثاني: ماذا أردت أن تقول؟

الأول: تعال الأن لنضع في الحفرة أشياء نكرهها، نسّتعرُ منها، نخاف منها.

الثاني: أحسنت، لنضع، لنضع (يفكران)

الأول: جوع الأمس.

الثاني: ظلم الناس.

الأول: عشق الصبا.

الثاني: ضنك العيشة.

الأول: فُقر الحالِ.

الثاني: وجع الانتظار وأنتم تعلم إن من تنتظره لا يأتي أبداً.

الأول: الطيبة.

الثاني: العفوية.

الأول: الحُزن على ضياعِ العدل.

الثاني: الخوف من الغد.

(يتعانقان وهم يصيحان: نَضَعُ الخبزةَ الشريفة ونسّيقِها حُباً)

إظلام

المشهد الرابع

(الملثمان يطوفان بالمقبرة مرة أخرى، يمدون أعناقهم إلى داخل الحفرة، يتأملون، وكأنهم ينظرون إلى ما بي داخلها، يبدو إنهم يبحثون عن شيء ما، يَمدُ أحدهم يده إلى الداخل، دون أن يخرج شيء، الرجلان وسط المسرح، بقعة الضوء تتوزع عليهم بالتساوي، وكأنهم مشغولون بحوار مهم ومستمر، يتجاذبان الحوار دون أن يعيرا أهمية للملثمين)

الأول: شيء عجيب يا صديقي.

الثاني: وما ذاك؟

الأول: الملثمان.

الثاني: ما بهم؟

الأول: إنهم هنا، ينظرون إلى الحفرة التي حفرناها لتكون قبراً.

الثاني: ليست قبراً فقط.

الأول: أعرف، أعرف، لكنهم لا يشعرون بنا مطلقاً، بل أجزم إنهم لا يرونا.

الثاني: وما تقصد؟ ربما يتجاهلونا، فالمقبرة تلك أشكال وألوان.

الأول: يمعود، ومن يحضر للمقبرة في هذه الساعة وهذه الأجواء؟

الثاني: دعهم، عيسى بدينه وموسى بدينه.

الأول: يبدو إن اللعبة انتهت؟

الثاني: اللعبة لا تنتهي أبداً.

الأول: شنو؟؟؟

الثاني: نعم لا تنتهي، دائما أُحفر في الأعماق لك حفرة، واجعلها لدفن الأشياء التي تحتاج إلى الدفن.

الأول: فلسفة الدفن لديك عجيبة.

الثاني: هكذا علمتني الحياة، لا أنتقم أبداً.

الأول: حتى للذين يستحقون الانتقام؟

الثاني: وبالخصوص هؤلاء.

الأول: ولماذا؟

الثاني: ببساطة الثمر الفاسد يسقط وحده ودون عناء.

الأول: وهذا ما أشعر بها دائماً (إن الناس من بعيد أحلى) لكن لعبتنا لم تكتمل بعد.

الثاني: إن أردت الاستمرار فتفضل.

الأول: لنجرب أن نضع في الحفرة أيامنا الجميلة، عناوين من نحب، رسائل عشقنا الأولى، دفاتر شعر تنبض بالمراهقة.

الثاني: لا، لا الحفرة دعها.

الأول: وأين نضعها برأيك؟

الثاني: لنتخيل الأشياء هذه، أشجاراً ونزرعها بجانب الحفرة. ولنضع الآن صور الطفولة الأولى، مقاعد دراستنا، لنضع أسماء أصدقائنا بلا مذاهب أو ديانات، أو عرق أو نسب.

(الملثمان ينتبهان إلى الرجلين، بحذر يقتربان، يستمعان، يبدأن بالتلوي والألم مع كل كلمة ينطق بها الرجلان)

الأول: لنفرش بجانب الحفرة، ثوب العفة، عباءة السّتر، الحقيقية وليس قطعة القماش تلك.

الثاني: لنزرع لأطفالنا القادمين يوم مشرق، حقيبة مدرسية مليئة بالأمنيات بوطن جديد.

الأول: لنُفصّل لهم بدلات العيد مِنْ حلم الشهداء، ودمع أمهاتهم.

الثاني: لنرسم لأبناء الغد طريق الحرية الحمراء، بلا حمراء.

الأول: لِنعلمُهم إن الوطن هو خيمتنا، والأنسان بلا خيمة بقايا إنسان.

الثاني: ومع الزرعِ تعال نضيء شمعة، لكن حددها لِمنْ تكون.

الأول: وهذا جزء من اللعبة يا صاحبي؟

الثاني: اللعبة تتحمل أي شيء، دعنا نُضيف عليها ما نشعر بهِ.

الأول: الشمعة التي أتمنى أن أضيئها الآن، لإرادة الأنسان.

الثاني: لهويته الإنسانية.

الأول: للقيمة الحضارية.

الثاني: للوطن الذي يتسع للجميع.

الأول: للأمس، لليوم، لغدٍ أجمل.

(الرجلان بصوت واحد مُدوّي: للتسامحِ نطلق الكلمة)

(يَصرخُ المُلثمان بكلمة: لا، ويُكرّرانها، ثم يَخران إلى الأرضِ)

إظلام

(ستارة)

مسرحية

فجرُ هذهِ الليلةِ

(مونودراما)

شخوص المسرحية :

- **أبو عبد الملك مروان الثاني بن محمد... رجل في الستين من عمره.. آخر خلفاء بني أمية.**
- **صوت١..... القائد العباسي صالح بن على.**
- **صوت٢... أحد الجنود.**
- **صوت٣.**

استهلال: (ليلٌ يبددهُ ضوء يتوزع على خشبةِ المسرح ليبدو في وسطِها جزء من حائطٍ قديم لكنيسة مهجورة يبدو إنها خربة، يظهرُ الصليب مرسوما عليه، بقايا ركام وحجر متروك، وبجانبِ الحائط نخلةٌ جزء منها يابس تماماً، وعلى مقربةٍ من المكانِ صوت نباح الكلاب يُمزق الهدوء، و طغَى على الصّرير الذي أحال الليل إلى ضجةٍ وحذر، هدوء مُتقطع، يتبعهُ صوت صَهيل حصان قريب من المكانِ، يدخلُ مروان بحلته الرسمية، واضعاً النقاب على وجهه، يبدو متماسكاً ومتردداً... خائفاً، تعباً، منكسراً، مخذولاً في آن واحدة، يتلفتُ إلى جميعِ الاتجاهات، يَنظر إلى الحائطِ ويدور حولهُ، بحذر يرّفعُ النقاب عن وجههِ، يمسحُ وجههُ، يدور في المكان، يخلع نطاق سيفهِ ويطرحهُ أرضاً)

مروان (بتذمر): ما أتعس هذا الجو الخانق، ليل حار جاء بعد نهار مشتعل، (يلتفت إلى جهة صوت الكلاب) يبدو إنهم لن يجدوا لي أثراً، أتمنى لهذهِ الجدران والأبنيةِ الخربة ان تأويني لهذهِ

الليلة فقط، هذه الليلة، وبعدها سأكون بأمان، ما أطّولها من ليلةٍ حارة، كئيبة، العطش مرسوم على شفتي، وأنا لا أملك من حطام الدنيا الّا سيفي وحصاني وأسمي الذي أخاف البوح به، (يقترب من النخلة، يُخاطبها) سأكون ضيفك أيتها النخلة الوحيدة مثلي، لهذه الليلة فقط، سأسند ظهري إليك، بلا خوف ولا قلق.

(يجلس بجانبها، ينشد هذه الأبيات):

((وَما نال مِثلَ اليأسِ طالبُ حاجَةٍ
إِذا لَم يَكُن فيها نَجاحٌ لِطالِبِ....
وَإِنّي لرمّاءٌ وَراءَ عَشيرَتي
صَبورٌ عَلى قَذفِ العدى وَالمَصائبِ...[1]))

نعم هكذا هي الدنيا، الشّجعان لا يعمّرون طويلاً، لكن التأريخ لا يغلق سجلهُ أبداً، آه مِن زمنٍ ولى، وعمر ما تبقتْ منهُ الّا ساعات انتظار موجعة، (صوتُ الكلابِ وصرير الليل بدى بعيداً بعضُ الشيء) لا شيء تبقى، القصور الفارهة ولتْ، جدرانها أصبحت لا تتسع لي، وجموع الناس التي كنت أظنها معي، تلاشت.

(١) من قصيدة الشاعر الأموي إبراهيم ابن هرمة.

(ينظرُ بقلقٍ نَحو زاوية بعيدة) ثمّة يوم تكتشفُ بأنك كنت ساذجاً ومغفلاً وتافهاً في جميع الاختيارات التي تبنيتها، ستكتشفُ إنك كنت مندفعاً ومجنوناً، لأنك صدّقت كلّ ما قيل لك، يا لسذاجتي، أنا الأن وحيداً ولات ساعة مندم، سأجرُّ خيبتي، وحزني وذلي معي، سأحرر ما تبقي من الأفكار برأسي علّ أنجو بحياتي، (ضوءٌ يلفُ المكان ويتوقف على وجهِ مروان) هذه الأرض بِكلّ اتساعها لي، بزرعها ومائها، وأشائها كلَّها لي، أنا (يقفُ منتصباً، صوت طبل يضرب مع كل جملة ينطقها) أنا الخليفة، أنا أبو عبد الملك مروان الثاني بن محمد، أنا مَنْ ملك الدنيا من الشمسِ إلى الشمسِ، أنا مَنْ حارب المارقين والخارجين عن حكم بني أمية وحفظ دماء أهله، أنا من لوى عنق المعتدين على هيبة البلاد، (صوتُ نباح الكلابِ يتصاعد) (بِخيبة) أنا من صدّق بالواشين، وقرّب المتملقين، وغرّتني الدنيا، أنا من حطّم كبرياء الصادقين وشكك في ولائهم، أنا من جاء بالجبناء على ظهور الشّجعان وكرّم المتسترين بعباءة الكذب

والدجل والنفاق، وكنت أعتقدُ بأن الصَح ها هنا (يتحركُ بقلق باتجاهات مختلفة وكأنه يبحث عن زاوية يختبأ فيها) صوت كلابهم تعوي، وتعوي بعطش لي، سيأتون حتماً، وتكون المواجهة، إنها الساعة التي أنتظر، لن تهمني كثّرتُهم، (يتوسط الخشبة) إن تمنيتم شيئاً، فتمنوا ألا تكونوا في مَكاني أبداً، (يعودُ إلى النخلةِ، يتحسسُ سيفه) وهجُ السلطة يُبهر، بل يخطفُ الأضواء، وها أنا وحدي، حتى ظلّي يبدو انه تخلى عني، ما أكثرهم لكنهم الأن ولوّا، ليس معي الّا سيفي وهذا الليلُ، (بحزنٍ) يا لهذا الليلة الموحشة (ينشد):

((أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي
بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ
فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ
بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَذبُلِ[1]))

يا لخوفي، هل أنا من يتحمّل سقوط العرش، ومهانة الناس وضياع السّلطان؟ هل أنا من يتحمّل خسارة أحلام الأطفال وذل العوز ونار

(١) من قصيدة الشاعر أمرؤ القيس.

السلطة وشهوة الدم؟ أنا فقط أنا ذاك الذي لم يختر مناخهُ الطيب وحاشيتهُ الصادقة، (بصوت موجع) يا لغرور السلطة ودوّرة الأيام، ها أنا وحدي، كلّ الأرض ترفضني، وانا من كنت املكها، أبحثُ عن خرم إبرة أختبأ فيه فلا أجد، أين جيشي؟ أين جماعتي؟ يا الله، يا الله هل فعلا تلاشى كلّ شيء، كلّ شيء.

(صوت حوافر الخيل يقتربُ، ومعهُ نِباح الكلاب، يقفُ خائفاً خلف النخلة)

صوت١: كُن حذراً أيها الجندي، فالليل حالك الظلام وهذه التي أمامنا يبدو أنها خربة مهجورة، أنا لا أرى جيدا في الليل، فكن على هبةِ الاستعداد.

صوت٢: نعم يا سيدي، نعم انها ليلة موحشة والظلام فيها دامس، لكن لا تهتم، أنا على استعداد لكل شيء.

صوت١: لقد وزّعت بقية الجنود على جميعِ الطرقات التي من الممكن ان يمرُّ بها مروان.

صوت٢: وانا سأكون أمامك يا سيدي، لن ينجلي الليل حتى يكون مروان بين يدينا، وينتهي عندها الخوف والظلم والمهانة.

صوت١: وستكون جائزتنا كبيرة عند الأمير.

صوت٢ (يضحك وبسعادة).

صوت٢ (بقلق): اششششش، الليل صافٍ وضحكتك واضحة.

صوت٢: سيدي هل ندخل هذه الخربة؟

صوت١: لا دعنا نفتشُ حولها.

صوت٢: ولما؟

صوت١: يا غبي وهل تتوقع انه يلجأ لهذه الخربة الوحيدة في هذا البستانِ المهجور؟

صوت٢: لكّنه يائس يا سيدي، والغريق يتمسكُ بقشةٍ.

صوت١: لكن ليس مروان يا هذا.

(صوتُ الخيول يبتعد ونباح الكلاب يتلاشى، الضوء يتوزع بين النخلة والجدار ومروان)

مروان (السيف بيده): أنا لا أخشى سيوفهم، بقدر ما أخشى الواشين والكذّابين، فالصادقون لا يكلفونك عناء البحث والسؤال عنهم فهم واضحون، وانا لا أخشى أن يفتضح أمري، بل أخشى ان يُصدق بعضُ الناس ذاك الهراء الذي لا يمت إلى الحقيقةِ بصلةٍ، تُرى ما سيقولهُ التأريخ عني؟ الأمير الذي بقي وحيداً مكسوراً

بلا كسرة خبز وقطرةُ ماء وجنود، أين جنودي؟ أين الهيبة والسلطان والجاه والمال؟ (يقرأ): ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[1])).

(ضوءٌ أزرق خافت يتوزع في أرجاءِ المكان، مروان يغالبهُ النعاس، أصوات نباح الكلاب وصهيل الخيل تتقطع، يتحركُ مروان بتثاقلٍ، يقتربُ من أحد زوايا الجدار، يطلُّ برأسهِ نحو الأعلى، يعود إلى المنتصفِ)

مروان: هذه الأرض التي أقف عليها وهذه النخلة اليابسة مثلي، وذاك الجدار المثلوم، هما كلُّ ما تبقى لي من حطام الدنيا، حتى جوادي، يبدو انهُ غادر هذه الخربة، ما عدت اسمع صهيله منذ ساعات، حسناً فَعَلْ، فلطالما أتّعبتهُ برحيلي من مكان إلى آخر، اعتقد انه يخشى أن تظّفر به خيول الأعداء فيسحقونه بسنابكهم، ان للخيول انتقام يشبه انتقام البشر، ما أطّول هذه الليلة، يبدو إنها تخشى الصباح أن يعود.

(١) القرآن الكريم/ سورة آل عمران.. آية ٢٦.

(يستندُ إلى النخلةِ ويغفو، الظلام يلف المكان، ضوء ضعيف خافت يتوزع على الأرجاء، موسيقى توحي على الخوف والقلق والرهبة، تستمر حتى يقف مروان وصدره عارٍ لا يغطيه شيء، بعض الدماء على وجهه ويديه).

مروان (بخوف): ما هذه الدماء؟ من أي سماء نزلت؟

(يتحسسُ يديه)

صوت٣: مِن وجعِ الناس وخوفهم.

مروان: مِن أي سماء؟

صوت٣: مِن خوفِ الله على عبادهِ منك.

مروان: أنا من كان درعُ للناسِ

صوت٣: لكن الناس تموت الساعة من غير ذنب، ومن دون درع.

مروان: الموت بلا ذنب رحمة.

صوت٣: الموت بلا ذنب خطيئة.

مروان: يا هذا، أنا كنتُ مولى الناس.

صوت٣: المولى رحيم.

مروان: ويحتاجُ الشدّة.

صوت٣: الشدّةُ والرحمة ما كانا أبداً صنوان.

مروان: ويحتاجُ القوة والحزم.

صوت٣: الرحمةُ فوق الشدّة وفوق الخوف.

مروان: والقوة تحمي الناس.

صوت٣: تحتاج الناس العطف والخبز والعشق.

مروان: من يحميهم من بطش الشّر؟

صوت٣: الحامي أكبر منك ومنهم.

(مروان يلطخُ وجههُ بالدم الذي توزع على صدرهِ العارٍ ويجلس إلى الأرض)

مروان: الموتُ يحاصرُ وجهي.

صوت ٣: جزاءُ القتل هو القتل.

مروان: أريد النوم ولو لحظة.

صوت ٣: لا نوم مع الخوفِ والإحساس بالذنب.

مروان: أتوسلُ إليك أريد النوم ولو برهة.

صوت٣: ابحث في تأريخِكَ يا هذا، فتّش عن لحظةِ صدق.

مروان: وإن وجِدتْ.

صوت٣: بدّلها بساعة نوم.

مروان: ما هذهِ اللعبة يا ربي، من أينَ أجد في هذهِ الليلة التعيسةِ لحظةُ صِدق؟

صوت٣: تصوّر إنك لا تملكُ لحظة صدق واحدة، لحظة واحدة.

مروان: ما أتعسني، ما أتعسني، ضاعتْ لحظاتُ الصدق،
صوت٣: طيب، سأعطيك فرصة أخرى.
مروان (بلهفة): ما هي؟ ما هي؟
صوت٣: ابحث في داخلك عن موقف إزالة كرب، وإغاثة مظلوم، ابحث عن نقطةِ ضوء أنرّتَ بها ليل المساكين والفقراء.
(يقف.. يدور في مكانه وكأنه يستعيد ذاكرته، يرفعُ رأسه للأعلى)
مروان: رأسي فارغ، ضاعتْ مني أيامي، (يضرب رأسه) فتشْ، فتشْ، أين؟ أين؟
صوت٣: ولا تجد.
مرون: الآن كانت على بالي.
صوت٣: لأنها قلائل تلاشت.
مروان (يصرخ): مستحيل، مستحيل.
صوت٣ (يضحك): ولا تجد، تلاشتْ، هههههه تلاشتْ.
(ظلام يغطي المكان، يستمرُ قليلاً، ينكشف شيئاً فشيئاً ومروان مستند على النخلةِ وينهض مفزوعاً)

مـروان: يـا لهـذا الحلـم الغريـب. (يتحسـسُ فـروة رأسـه ويديـه) الحمـدُ لله، يـا لهـذه الليلـة التـي تـأبى أن تنتهي، العطشُ يُمزّق أحشائي.

(يتحركُ باتجاه الجدار، يرفعُ رأسهُ إلى الأعلى، الضوء يلاحقهُ)

مروان (يصيخ السمع): لا أسمع شيء، يبدو إنهم ضلّوا طريقـي، أو ربمـا ملّـوا، (يضـحك) ملّـوا، أنـا صـيدهُم الثمـين، فكيـف يملّـوا؟ لكـن صـوت كلابهم بعيد، وصهيل خيولهم أبعد، نعم ضلّوا طريقي، بـلا شـك ضـلّوا، لكني أعـرف قائـدهُم صـالح بـن علـى، عنيـد ولا يمـلّ، أعـرف جرأتـهُ وإصـرارهُ، وخبثـهُ، لا يرتـاح حتـى أكـون مقيـداً بالحديدِ، أو جثة بلا رأس، (يسأل) ماذا تتوقع يا مـروان؟ قائـد يقتفـي أثـر خليفـة، إنهـا الليلـة الأخيرة، بلْ هي فجر الليلة الأخيرة، إن أطلت الشمس بنورها، فأن المدد سيصلُ حتماً، سيهبُ النـاس إلـى نجـدتي، سـأكون محميـاً فـي البلـدة القادمـة، رهـاني مـع الليلـةِ هـذه، يـا لرهـاني المُوجع، لكّنهم وعدوني بالعدةِ والعدد، الناس

هنا تَعرفني، مَنْ يأتي بالشمس كي تزيح ما تبقى من هذه الليلة الرهيبة؟ مَنْ.

(يتوسط الخشبة ويتراجعُ راكضاً خلف النخلة، بعد أن بدأ صهيل الخيل يقترب ويسمع همهمات خافتة)

صوت١: يا أيها الجندي.

صوت٢: نعم يا سيدي.

صوت١: أنا أشك بهذا المكان.

صوت٢: كنّا ها هنا قبل ساعة.

صوت١: هو مكان مناسب جداً للاختباء، خربة وسط الصحراء، أشجار يابسة تحيطها، دعنا ندخل إليها.

صوت٢: لا، لا يا سيدي، قد يكون فعلا موجود هنا، وليس لوحده، فيباغتنا.

صوت١: حسناً اذهب واستدعي بقية الجنود.

صوت٢: أمركَ يا سيدي.

(تتوقفُ الأصوات، والضوء ينكشف قليلاً عن مروانِ والنخلةِ)

مروان: وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وعندها تتواجه الصدور مع الصدور، والخناجر مع الخناجر،

والرقاب مع الرقاب، عندها حتى الأنفاس تتقاتل، (يتحسس سيف) وأنت ذخري، وقوتي وحدك من تبقى معي، عجبت لقطعة حديد خرساء تملك وفاءاً لا يملكه الباقون، لكن بسيفك قد تُقتل، وبسيفك تحمي تأريخك وتحفظ ماء وجهك، لكنك وحدك الأن، وها هو عُمرك ناهز الستين وأنت كما أنت، جبلٌ من الصبرِ والتحمّل، عُمرك في الستينِ، والقوم تطلبُ رأسك.

(أصواتٌ متداخلة لمجموعةٍ من الجنودِ ويقتربُ معها صهيل الخيل ونباح الكلاب)

كلّ شيء هنا يطلبك أنت، الخيل والكلاب والجنود، حتى الليلُ يطلبك أيها الخاسر كلّ شيء، لا ستار لك الاّ سيفك، (يحدث نفسه) كُنْ قوياً مثلما تعرفكَ الناس، مَنْ يطلبُ المجد عليه أن يُصارع الزمن، لا شيء بالمجان يا مروان، لا شيء.

(الظلامُ يعود للخشبةِ والموسيقى تجسد الموت الجنائزي، طبلٌ خفيف، وصوت أجراس تُقرع،

تُضاء الخشبة قليلاً ويظهرُ مروان يجرُّ خلفه نعش أسود، يجرهُ بقوةٍ، يتوسطُ المكان)

مروان (بتعب): العُمر نعشٌ نجرهُ ورائنا، تتكسرُ أيامنا على أعتابِ حُزنه ومصائبِهِ، (ينّشدُ):

((ففي العيس مَنَجاةٌ وفي الأرض مَهربٌ
إذا نحنُ رفّعنا لَهُنَّ بلقائيا
فَقد يَنبُتُ المَرعى على دَمِن الثّرى
وتَبقَى حزازات النُّفوس كما هيا[1]))

(يترك النعش ويجلس خلفه)

يا أيها النعش الأسود، كلُّ ما فيك أنا، أنا وسنيني وتأريخ الأمس واليوم، يا أيها النعش ستأخذ في جوفِك كُلّي وبعضي وحسرات الليل ووجع الطفولةِ وذكريات الباقين، نعم فكلّ الذين يرحلون يأخذون معهم جزء من ذكرياتنا(يتساءل) يا أيها النعش هل نحن بداخلك أم أنت بداخلنا؟ مَنّ منّا يحّملُ الأخر؟

(يتمددُ فوق النعش مسبلا يديه على الجانبين، ورأسه نحو الأعلى، الضوء فوقهُ فقط)

(١) من قصيدة الشاعر زفر ابن الحارث الكلابي.

يا أيها الناس، هذه طُرق الأرض سَدّت بوجهي، ولم يتبقى الّا طريق السماء، عجباً للأرض التي أصبحت مثل خرم الإبرة، ما عادت الطرقات تتحملني، أشمُّ رائحة الكافور في ثنايا المكان، أتحسسُ الثوب الأبيض على جسدي المسجى ها هنا، يريدون قتلي، (يجلسُ فوق النعش، ثم يقفُ فوقهُ) يا ربّ إن ذنبي عظيم، وأنَا على يقين إن قليل عفوك أعظم منه، فامح بقليل عفوك عظيم ذنبي، يا رب إني توجهت إليك بما تبقى لي من قوةٍ وحيلةٍ.

(ينزل من فوق النعش، ويسحبه خلفه ويتبعه الضوء إلى خلف النخلة، فيعم الظلام من جديد، صوت لجنودٍ يتراكضون حتى تظّن انهم دخلوا إلى وسط الخربةِ، ضوءٌ أزرق يملأ المكان، يتغير هذا اللون مع قطع قماش بيضاء تقطرُ دماً تنزل من الأعلى، فتُشّكلُ جدار يخرجُ من وسطه مروان)

مروان (بفزع): يا ذلّ الليل ووحشته، من أي سماء يأتي هذا الدم؟ من أي رقاب عانقتها هذه السيوف؟

أي وجعٍ عاشتهُ تلك الأرواح، (يمّسكُ بإحدى قطع قماش) تُرى أي جسد كنت تستر يا هذا القماش؟ أي جسد مليء بالأحلام والأمنيات والذنوب؟

(يمرّغ وجههُ بقطع القماش ويدور حولها)

هذه الليلة الأخيرة، وبعدها (صوت ضرب طبل مدوي لمرةٍ واحدة) يأتي الليل الطويل، استعد يا هذا لما تبقى لك من ساعات الليلة الأخيرة والذكريات الأخيرة والوجع الأخير.

(صوت٣ يمزقُ الهدوء)

صوت٣: هههههههه.

مروان (يلتفت إلى جميع الاتجاهات): أنت مِن جديد، مَنْ أنت بحق السماء؟ مَنْ؟

صوت: أنا ليلك الذي لا ينتهي(يضحك) هههههههه.

مروان: أرجوك دعني، أنها الليلة الباقية لي.

صوت٣: ومن أدراك؟

مروان: إنّها الساعة، كُلّ الأشياء ها هنا تنعى اليّ نفسي.

صوت٣: فتَجهز إذن.

مروان: وبماذا أتجهز؟

صوت٣: بِذلّ السؤال وطلب المغفرة.

مروان: لكنْ.

صوت٣: عن أي لكنْ تتحدثُ؟ تجهز بخوفِ الناس وقلقهم، بالعوز والفاقة والنسيان، تجهز بصبر الشيوخ ودمع اليتامى وحزن النساء.

مروان: لكنْ.

صوت٣: دع عنك الّكنْ هذه، وتعال إلى القصاصِ.

مروان: لكن.

صوت٣: السماءُ تتسع للجميع، تعال إلى هناك.

مروان: إلى أين؟

صوت٣: إلى حيث الليل البارد الدائم.

مروان: وذنوبي؟

صوت٣: ستكونُ معك، قميصكَ الذي سترتديه، ووجهك الذي يكشف هويتك سيكونان معك، لا تخف كلّ شيء محسوب بدقةٍ.

مروان: يا هذا الا من مفرّ؟

صوت٣ (يضحك طويلاً): هههههههه.

مروان: أتضحك من رجل في الستين من عمره؟

صوت٣: لا، لا، أضحك من جهلك بالموضوع وخطورته.

مروان: أي كلام يا هذا؟ الجنود تقترب مني، وقائدهم صالح ابن علي على رأسهم، وأنت تضحك بل تستخف بي (يسترق السمع) أين أنت، (يبحث في الأرجاء)

(يرددها أكثر من مرة، يصرخ في المرة الأخيرة، يضمّ يديه على رأسه فيعود الضوء فوقه وبقية المكان مظلم تماماً)

مروان (بحزن): مَنْ يشتري هذه السويعات الباقية مني مَنْ.

(تضاء إحدى الزوايا، فتظهر زنزانة مفتوحة من أحد جوانبها، يدخل إليها مروان، يدور بداخلها، يحركها إلى الوسط، يتفحص المكان، يمسك بكلتا يديه القضبان، الزنانة مضاءة فقط وبقية المكان مظلم)

مروان (بفزع وتوسل وتساؤل): عن أي تهمة أنا هنا؟ أي ذنب اقترفته؟، أنا مَنْ حفظ ماء وجه الدولة الأموية وأصلح بيتهم المنهار، أنا من قاتل الخوارج واِجْتَثَّ جذُورَهم، وكَسَرَ شوكتهم، أنا مَنْ حارب الروم وافتتح المدن العصية على الغير، يا لقبح الزمان وذلّتهِ، مالهم يطارونني؟

القوة والسطوة والحزم هي مفتاح بناء الدولة، أنحاسب على حفظ الدولة وهيبتها؟

(يَهرشُ فروة رأسه ويديه بقوةٍ)

أشعر بشيء يحرق جسدي، أحسُّ بحرارة تحرق يديَّ ووجهي وأطرافي قدمي.

(يُحرّك الزنّزانة إلى إحدى الزوايا والضوء يلاحقهُ)

قفص الاتهام هذا للمجرمين، فما لي أنا بهذا؟ ماذا سيقول التأريخ عنكم؟ (يُعاود هَرّش رأسه) تباً لكم، أخليفَتكُم في السجنِ وأنتم تبصرون، يا لسخرية الأيام، حامي الدولة ورأسها في قفصِ الذّل والبؤس، سيُحاسبكُمْ في يوم ما، قُرّاء الحقيقة ومُكتَشفوها، لا تستعجلوا ستدور الأيام لأن الأيام دُول، وعندها لات حين مناص، وستكتشفون أيضاً إن المُلك عضوض.

(يُحرّك الزنّزانة إلى زاوية أخرى والضوء يلاحقهُ)

وإني اجتهدت وربما أخطأت، وجلّ مَنْ لا يخطئ، لكنّها الدولة الأموية، ذخر التأريخ

وعنفوانه، ورجالات دولتها فيها من أخطأ وفيها مَنْ بطش بالناس وأجرم، وفيها.

(صوتُ طبل مدوي لمرة واحدة، ويعود لهرش يديه)

يا ويلي، هذه القضبان تخنقني، تمزق جسدي، تُطبقُ على صدري، كيف سيكون الخلاص؟ وهذه القضبان تُطاردني حتى في المنام، أي سجن هذا؟ الليلة فيه تُعادل ألف ليلة، الساعة فيه أكثر من ألف ساعة وساعة، أنا لا أُطيق البقاء هنا، (يصرخ) أيها السّجان، أتعرف مَنْ أنا؟ أيتها القضبان الصامتة الخرساء، أتعرفين من خلفك الآن؟

تدرين مَنْ يأنُّ بين جوانبك الكئيبة الحقيرة؟

(الضوءُ يتلاشى شيئا فشيئا، والظلام يعود من جديد فيسمع وقع حوافر الخيل ونباح الكلاب يتجدد، تظهر بقعة ضوء على النخلةِ ومروان أمامها).

مروان (بجزع): أين أنتم؟ لقد مللت البقاء في هذه الخربة الساكتة على نسيانِ التأريخ لها، أين..

(يتوسط الخشبة وضوء خافت يتوزع في المكانِ)

يبدو إنهم تركوا البحث عنّي، لكن كلابهم وصهيل خيولهم ووقع حوافرها على أعتاب هذه الخربة، يقول غير ذلك، إذن لأعدّ العدة وأستقبل سيوفهم، لا تجزع يا مروان ما هي الّا ساعة وتنكشف الأقنعة، إنها ساعة وتذوب الدماء بالدماء، وتعّتصر الزنود على الزنود، وعندها ستكون النهاية، (بخوف) أخشى من كلابهم على جسدي، (يقفُ شامخا، يمتشق سيفه يُخاطب نفسهُ) يا مروان إنْ كُنتَ تَعرف أنّكَ على الحَقِّ وإليه تدعو فلا تخشى الموت دونه، إن أنصارك قدْ قُتلوا لذلك، فلا تُمَكِّنهم من أن ينالوا رقبتك الّا ان تموت واقفاً، فليس من فعل الأحرار هروبك وخوفك، (بصوت أعلى) وإني والله ما رَكَنتُ إلى الدُّنيا وما أحبَبتُ حياة الذلْ والقهر والعبودية لكّنها مشيئةُ الأيام، (بصوت مهموم) يا مروان بسيفكَ هذا الذي سست به الناس وتحكّمت على رقابِهم، ستدافعُ به عما تبقى من مجدِك الزائل وأيامك التي لن

تعـود، فأشّـدد صَـبّرك علـى صـبّرِك فـأن القـوم يطلبوك أنت، أنت وتأريخ أجدادك، ولَمْ يَبقَ في قَوسِ التَصَبُّرِ مَنْزَع، أشّدد رحالك وأركب سفينة اللّاعودة، فالحياة بذلّ لا تُطاق.

(يخطُّ بسيفه فوق الأرض)

من هنا سيأتون.

(يلتفـت إلـى إحـدى الزوايـا فتظهـر بقعـة ضـوء مكانها يرافقها صوت موسيقي مناسب)

أو ربما من هنا.

(بقعة الضوء تشير إلى مكان إشارتهِ)

لا، لا سيكون المُلتقى هنا.

(بقـع الضـوء تتـوزع وتتلاشـى قلـيلاً، فيصـرخُ بيأس)

المكـان لـيس مُهمـاً، مـا دام السـيفُ هـو مَـنْ سيحّسِـمُ القصـة ويرويهـا الرجـال، المكـان لـيس مُهمـاً، فعيسـى ولـد تحـت جـذع نخلـة ومـات مصلوباً على خشبة يابسة، وأنا لست مستعجلاً علـى النهايـة، لكـنّهم مسـتعجلون، يرغبـون بالحصول على الجائزة.

(صوت الكلاب يقترب)

حتى كِلابُهم تعبت مِن النباحِ، وآن لها أن تستريح، وهذه الخيول التي لاكتْ أعنّتها ما عادت تُطيق الصبر.

(يضعُ اللّثام على وجههِ فيما صَهيل الخيل وصوت الجنود بدى واضحاً)

أين هؤلاء الجنود؟ هل يناورون على قتلي؟ هل يتركون عمداً كلابهُم وخيولهُم أمام هذه الخربة كي أموت خوفاً؟ هل يخشون سيفي والمنازلة؟ لا، لا أعتقد لكّنهم يتأملون مني الاستسلام، وهذا ما لا يحدث أبداً، ربما يفكرون في ذلك، فدعهم يُفكرون، ربما سيتفاوضون على البيعةِ لخليفةٍ آخر، وأنا ما عادت تُعنيني الخلافة والكُرسي والحُكم، حينما تتساقط من حولك الأقنعة وتظهر الوجوه على حقيقتها، عندها لا يصبح للصدقِ معنى.

(يتحركُ ذهاباً وإياباً ويترك سيفهُ يخط على الأرضِ)

يا هذا اختر مَنْ يساندك في الشدّة ويتحمّل قسوتك ومزاجك الكئيب ويعشق أحلامك العريضة ويعيش حُزنك وفرحك، وهو يعلم

جيداً إن هذه الأشياء ليست اختباراً وإنما طبع فيك، ذلك لأن كُلّ شيءٍ تستطيع قتله، إلاّ الطّباع (يستدرك وبحسرة) آه من فجر هذه الليلة التي يرفض أن ينتهي، ما بال الصُبح تأخر، ما بال صهيل خيولهم ينتظرُ نباح الكلاب لتكتمل الحكاية.

(يُمّسك بسيفه قوياً ويتوسط المكان)

لقد مللّتُ الانتظار، وأعتقدُ جازماً إنكم مللّتم أيضا.

(الظلام يُخيّم على المكان، الّا ضوء أبيض خافت يحيط بمروان)

ها هو الفجر بدا جلياً، وأنا بانتظار فجر الليلة الأخيرة، لأن فيها ستكون السيوف حَكَماً بيننا، يا لغرابة الناس حينما يحتكمون إلى السيف كي يَفضّ خلافهُم، وينهي معاناة بحثهم ورحيلهم وموتهم، (بصوت عال) هذا أنا والسيف وكُلّ سنواتي الستين التي أراها أمامي، هذا أنا ولذّة الحُكم وشهوة السلطة تتراقص بين يدي، فأين أنتم (يصرخ عالياً) أين أنتم؟ يا بقايا حُثالات الزمن الأهوج، أين أنت يا صالح ابن علي؟ أين

جنودك الجبناء الذين يحتمون بكلابِهم ويخشون مواجهتي؟

(صوتُ الجنود والعسكر يتصاعد يرافقهُ نباح الكلاب الأهوج، في نفس الوقت فأن صليل السيوف والصراخ يبدو واضحاً، يضاء المكان تقريباً فتظهرُ قطع القماش البيضاء الملطخة بالدماءِ، والزنانةِ والنعش وبينهم مروان مُلطخٌ بالدماءِ ميتاً).

إظلام

(ستارة)

المحتويات

مسرحية قُرْبان..... ٧

مسرحية مَطرٌ يابس..... ١٩

مسرحية الناجي..... ٤٩

مسرحية تُرابٌ مُرْ..... ٦١

مسرحية العَطشُ بتوقيتِ الكُوفة..... ٨٩

مسرحية طاعُون..... ١٠٣

مسرحية دَفِن..... ١١٧

مسرحية فجرُ هذهِ الليلةِ..... ١٤٥

المحتويات..... ١٧١

• لا يجوز التنفيذ مسرحيا أو إعداد أي نص من هذه النصوص ما لَمْ يتمُ الاتفاق مع الكاتب من خلال التواصل عبر الإيميل:
jassemalmansory@yahoo.com

٨١٢ / ٩٠٥٦٣
م ٩٥٩ المنصـوري، جاسم
مَطرٌ يابسٌ / جاسم المنصـوري
ط١ :- بغداد: دار السرد، ٢٠٢٥ .
١٧٢ ص ، ١٤ × ٢١ سم .
١- المسرحيات العربية - العراق - أ- العنوان .

رقم الإيداع
٧٢١ / ٢٠٢٥

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٢١) لسنة ٢٠٢٥م

دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع
العراق ـ بغداد ـ شارع المتنبي
هاتف: ٠٧٧٣٥٩٢٩٤٨٤ / ٠٧٨٧١٩٧٨٥٢٠
بريد إلكتروني: alrtyu44@gmail.com
رياض داخل: Facebook